جامعة الأزهر

كلية البنات الإسلامية بأسيوط

المجلة العلمية

آيات الاجتناب في الذكر الحكيم
دراسة بلاغية تحليلية

إعداد

د. صابرين عبد الوهاب عبد النظير عبد المتجلي

مدرس بقسم البلاغة والنقد، كلية البنات الإسلامية أسيوط،

جامعة الأزهر، مصر.

(العدد الواحد والعشرون)

(ديسمبر ١٤٤٦هـ / ٢٠٢٤ م)

آيات الاجتناب في الذكر الحكيم
دراسة بلاغية تحليلية

صابرين عبد الوهاب عبد النظير عبد المتجلي

قسم البلاغة والنقد، كلية البنات الإسلامية أسيوط، جامعة الأزهر، مصر.

البريد الالكتروني:sabreenabdelmotagaly.78@azhar.edu.eg

الملخص:

يقوم التشريع الإسلامي على الأوامر والنواهي، ولقد تعددت الطرق التي استعملها الذكر الحكيم للنهي، ومنها مادة الاجتناب، وتكمن أهمية هذا البحث في بيان الأسرار البلاغية التي جعلت القرآن الكريم يؤثر استعمال لفظ:" اجتنب" في البُعد والترك عن المحرمات والمنهيات، حيث إن التعبير القرآني تعبير فنِّي مقصود فكل لفظة، بل كل حرف فيه وُضع وضعًا فنيًا مقصودًا، ولم تُراع فيه الآية وحدها، ولا السورة وحدها، بل روعي في هذا الوضع التعبير القرآني كله؛ ولذلك كان البحث بعنوان: " آيات الاجتناب في الذكر الحكيم دراسة بلاغية تحليلية". ويهدف البحث إلى استظهار واستخراج الأغراض والأسرار البلاغية لآيات الاجتناب، وكيف كانت آيات الاجتناب رادعًا قويًا لتلك النفوس الحائرة؟ وما كان لتنوع الأساليب والمقامات من محفزٍ قوي لتحذير النفوس وتخويفها مما يحيط بها من ذلات؟ وهذا راجع بدوره إلى حالات النفوس واختلاف أحوالها وطبائعها، وبيان كيفية مراعاة النص القرآني لذلك.ولقد قام البحث على المنهج الوصفي التحليلي، وذلك بتتبع آيات الاجتناب: "اجتنبوا" في القرآن الكريم، وقد انتظم البحث في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مطالب، وخاتمة، وفهرس للمصادر والمراجع. وقد خلص البحث إلى نتائج منها: ورود آيات الاجتناب في ثمانية مواضع، وهي فيسور:(النساء، المائدة، النحل، الحج، الزمر، الشورى، الحجرات، النجم)، وقد كان لأسلوب الأمر النصيب الأوفر من بين الأساليب الإنشائية في تحذير المؤمنين من المحرمات؛ لما في أسلوب الأمر من الردع والتحذير من مغبة عصيان أوامر الله .

الكلمات المفتاحية: آيات، الاجتناب، الذكر الحكيم، دراسة بلاغية تحليلية.

Verses Of Avoidance In The Holy Qur'an:

A Rhetorical And Analytical Study

Dr. Sabreen Abdul Wahab Abdul Nazir Abdul Muttagaly,
Department of Rhetoric and Criticism, College of Islamic Girls,
Assiut University, Al-Azhar, Egypt

E-mail : sabreenabdelmotagaly.78@azhar.edu.eg

Abstract

Islamic legislation is based on commands and prohibitions. *The Holy Qur'an* has employed various methods to convey prohibitions, one of which is the root "ijtanib" (to avoid). This research aims to elucidate the rhetorical reasons behind the *Qur'an*'s use of the term "ijtanib" to emphasize distancing oneself from what is forbidden. The research seeks to uncover the rhetorical objectives and secrets behind the verses of avoidance and explain how these verses serve as a powerful deterrent for confused souls. States, conditions, and natures of human souls vary; therefore, the Qur'anic text takes these factors into consideration. The research employed a descriptive-analytical approach by tracing the occurrences of the root "ijtanib" in the *Qur'an*. The study is organized into an introduction, a preliminary section, three main sections, a conclusion, and a bibliography. The research found that the verses of avoidance occur in eight surahs: An-Nisa, Al-Ma'idah, An-Nahl, Al-Hajj, Az-Zumar, Ash-Shura, Al-Hujurat, and An-Najm. The imperative mood was the most prevalent construction used to warn believers against prohibitions, as it carries a sense of deterrence and caution against disobeying God's commands.

Keywords: Avoidance , Rhetorical And Analytical Study , Verses Of The *Holy Qur'an*

المقدمة

الحمد الله الذي أنزل القرآن العظيم تبيانًا لكل شئ، وهداية للحق والطريق المستقيم، والصلاة والسلام على رسوله الكريم ﷺ ، وعلى آله الغرِّ الميامين.

أما بعد،

فالقرآن الكريم بلغ الغاية وتمام النهاية في الإعجاز، فالحديث عن القرآن العظيم لا تملُّه النفس، والعلماء والباحثون لا يزالون يجدون فيه الشرائع والأصول التي تبين للأمم هدايتهم عن طريق ذكر الأوامر والمنهيات والمحرمات، وترشدهم بالهدى القرآني إلى سبل الخير والفلاح، ولما كان الدين الإسلامي قائم على الأوامر والنواهي؛ فلذا أردت أن ألقى الضوء على النواهي في القرآن الكريم، ومن النواهى وقع اختياري على دراسة آيات الاجتناب في الذكر الحكيم، لما يحمله جذر الفعل اجتنب من معنى النهي، حيث أهدف إلى تبيان أسرار آيات الاجتناب، وما حوته من دلالات عظيمة للنجاة والفلاح، فجاء البحث بعنوان:" آيات الاجتناب في الذكر الحكيم دراسة بلاغية تحليلية".

أسباب اختيار موضوع البحث:

١. تباين الأساليب البلاغية التي حوتها آيات الاجتناب؛ فأردت أن أبين الأسرار البلاغية لأيات الاجتناب، وما فيها من أساليب إبداعية إعجازية.

٢. مثلت آيات الاجتناب جزءًا مهمًا في المنهج السماوي لمواجهة الانفلاتات الخلقية، حيث يؤثر الذكر الحكيم هذه المادة " الاجتناب" في الأمور التي تحتاج إلى المبالغة في الترك، فأردت أن أميط اللثام عن مواضع ورودها، وأسرار اختيار هذه المادة دون غيرها.

هدف البحث:

يهدف البحث إلى استظهار واستخراج الأغراض والأسرار البلاغية لآيات الاجتناب، وكيف كانت آيات الاجتناب رادعًا قويًا للنفوس الحائرة؟ وما كان لتنوع الأساليب

والمقامات من محفزٍ قوي لتحذير النفوس وتخويفها مما يحيط بها من زلات؟ وهذا راجع بدوره إلى حالات النفوس واختلاف أحوالها وطبائعها، وبيان كيفية مراعاة النص القرآني لذلك.

الدراسات السابقة:

من خلال مطالعتي للدراسات السابقة التي تقترب من دراستي لآيات الاجتناب في الذكر الحكيم وجدتُ دراسات، منها:

١. قراءة في دلالة الفعل "اجتنب" في التنزيل الحكيم، للباحث: إبراهيم محمد فضيل بودجاجة، مجلة كلية العلوم والدراسات الإنسانية، العدد ٧١، كلية الآداب والعلوم بالمرج، جامعة بنغازي، ٢٠٢٢م، حيث قام الباحث بتتبع معنى الفعل اجتنب ودلالته ومعناه في المعاجم العربية، وأشعار العرب، ومن ثم في القرآن الكريم، مع تتبع جذر الفعل واشتقاقاته المختلفة لمعرفة دلالته في المعاجم، وإبراز ذلك في السياقات المختلفة التي ورد فيها، سواء أكان ذلك في أشعار العرب، أم في القرآن الكريم، وهذا البحث اهتم بالدلالات المعجمية للفعل اجتنب، ولم يتطرق للنواحى البلاغية وأسرارها، وهذا يخالف طبيعة عملي وسيري في البحث.

٢. صيغ التحريم عند الأصوليين مع التطبيق على ما ورد منها في سورة المائدة، للباحث: إبراهيم بن صمايل بن صويمل السلمي، رسالة ماجستير بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية، بجامعة أم القرى ٢٠١٠م، وقد درس فيها الباحث صيغ التحريم ودلالاتها وفق منهج الأصوليين، وقد طبق ذلك على سورة المائدة فقط، ولم يُشر من قريب أو بعيد إلى النواحي البلاغية، فضلًا عن عدم تناوله لمادة الاجتناب في سورة المائدة بخلاف دراستى.

٣. صيغ النهي ودلالاتها في القرآن الكريم من أول سورة البقرة إلى آخر سورة النساء دراسة تطبيقية، للباحث: عبد الله عبده سعيد، رسالة دكتوراة، بكلية الدراسات العليا جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية بالسودان٢٠١٨م، وهي

كسابقتها في المنهج والتحليل، كما أنه لم يتعرض لأية الاجتناب في سورة النساء.

منهج البحث، وخطته:

قام البحث على المنهج الوصفي التحليلي، القائم على تتبع آيات الاجتناب:"اجتنبوا" في القرآن الكريم، وتحليلها تحليلًا بلاغيًّا، وقد انتظم البحث في مقدمة، وتمهيد وثلاثة مطالب وخاتمة وفهارس فنية.

أما المقدمة فقد تحدثت فيها عن أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهدافه، والدراسات السابقة، ومنهجه، وخطته.

والتمهيد: ذكرت فيه تعريف الاجتناب في اللغة، والمعنى المحوري للاجتناب، ومواضع آيات الاجتناب في القرآن الكريم.

المطلب الأول: بلاغة التعبير بالاجتناب في مقام النهى عن إتيان المحرمات.

المطلب الثاني: بلاغة التعبير بالاجتناب في مقام الدعوة إلى التوحيد والبعد عن الطاغوت.

المطلب الثالث: السمات العامة في التعبير بالاجتناب في القرآن الكريم.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج التى توصل إليها البحث.

ثم ذيلتُ البحث **بفهرس للمصادر والمراجع**.

وهذا، وبعد فما كان فيه من صوابٍ فهو من توفيق الله، وما كان فيه من خطأ فهذا دأب البشر، والله أعلى وأعلم.

التمهيد

التعريف ببعض مصطلحات التمهيد

أولًا: الاجتناب في اللغة

تأتى كلمة اجتنب في معاجم اللغة بمعنى البعد، فهي:" مصدر جانبته مجانبة وجنابًا وَهُوَ من المباعدة"(١)، وقال ابن فارس: "الْجِيمُ وَالنُّونُ وَالْبَاءُ أَصْلَانِ مُتَقَارِبَانِ أَحَدُهُمَا: النَّاحِيَةُ، وَالْآخَرُ الْبُعْدُ"(٢)، كما قيل إن الأصل فيه:" البُعْد"(٣)، ومن هنا فالاجتناب في معناه اللغوى يأتى في معنى البُعد والمبالغة في الترك عما يُنهى عنه بالقول أو الفعل.

ثانياً: المعنى المحوري للاجتناب في القرآن الكريم:

أشار الراغب الأصفهاني إلى أن مادة الاجتناب في القرآن الكريم من الأضداد حيث تأتى بمعنى الذهاب إليه أو عنه، حيث قال:" بني من الجنب الفعل على وجهين:أحدهما: الذهاب على ناحيته، والثاني: الذهاب إليه، فالأول نحو: جَنَبْتُهُ، وأَجْنَبْتُهُ...، ﴿ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا﴾: عبارة عن تركهم إياه، ﴿فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ وذلك أبلغ من قولهم: اتركوه"(٤)، وأن المعنى الملائم لبحثي هو الذهاب عنه، وقد بين الراغب أن الاجتناب أبلغ من الترك.

---

(١) جمهرة اللغة لابن دريد، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت، ط:١، ١٩٨٧م، ٢٧١/١ (ب ج ن).

(٢) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، ٤٨٣/١ (ج ن ب).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، تحقيق طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، ٢٠٣/١ (ج ن ب).

(٤) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهانى، تحقيق صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ،صـ٢٠٦.

أما الدكتور"محمد حسن جبل" فقد بيّن المعنى المحوري للاجتناب في القرآن بقوله: "ناحية من الشيء خارجية غليظة ..... ومن كَوْن الجَنْب ناحية خارجية جاء معنى البُعد والإبعاد"[(١)]، وعند الوقوف على تلك المعاني ندرك أن الاجتناب آكد وأقوى من لفظ الترك؛ لأن فيه معنى زائدًا، هو البُعد عن الشيء، بل المبالغة في تركه وعدم الاقتراب منه كلية، وكلما كانت الحرمة شديدة جاء التعبير بلفظة الاجتناب، فالاجتناب إذن: مبالغة في البعد، حتى كأنك في جانب آخر من الشيء المنهي عنه.

ثالثا : مواضع آيات الاجتناب في القرآن الكريم:

وردت آيات الاجتناب في ثمانية مواضع، وهي في سور:(النساء، المائدة، النحل، الحج، الزمر، الشورى، الحجرات، النجم[(٢)].

(١) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصَّل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها) للدكتور محمد حسن حسن جبل، مكتبة الآداب – القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٠ م،١/٣٤٢. (ج ن ب).

(٢) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، ١٣٦٤هـ، ص١٧٨.

المطلب الأول

بلاغة التعبير بالاجتناب في مقام النهى عن إتيان المحرمات

تدور المحرمات حول كل ما حرّمه الله ﷻ على عباده، وأمرهم بالبُعد عنه ومجانبته، لذا تجد معنى الكلمة يدور حول:" الْمَنْعُ وَالتَّشْدِيدُ"، فالمحرمات والمنهيات تمخضت في كل من(الكبائر، والفواحش، والظن، والخمر والميسر، الرجس، وقول الزور).

أولًا: الاجتناب في آية سورة النساء:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴾[1].

ترشدنا الآية الكريمة إلى أن اجتناب كل ما كَبُر وعظم من المعاصي والآثاب سبب في تكفير الذنوب ومحو للسيئات، والإدخال للمدخل الكريم، حيث جنات النعيم؛ وفاءً بعهده تعالى للمؤمنين، وليس الاجتنباب مجرد الترك، بل إن معه شيئًا آخر، وهو الصبر في البُعد عنها والحيولة دون الوقوع في شراكها، وقد عدَّ علماء التفسير المجتنبات بقولهم:"الشرك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس المحرّم قتلها، وقول الزور، وقد يدخل فيها: " شهادة الزور"[2].

بدأت الآية بقوله تعالى:" إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ " فجاءت على الأسلوب الخبري المبنى على الشرط بـ"إنّ، وفعل الشرط، وجوابه"، ولأسلوب الشرط فائدة بلاغية؛ بما يبعثه من تنبيه وتشويق في استحضار صورة الاجتناب، وما فيها من مغفرة للسيئات؛ حيث إن "المتحدث بالجملة الشرطية عندما ينطق بالشرط يترقب المخاطب

---

(١) النساء: الآية ٣١.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، ٢٤٤/٨.

الجواب وينتظره؛ لأنه هو المتمم لمعنى الجملة"[١]، فتكفير الذنوب ودخول الجنة معلق على اجتناب الكبائر المنهى عنها، وجاء الشرط هنا بـ "إن" وهو للمشكوك دون المقطوع به؛ لُيبين"ﷻ" أن عبده إن فعل ما يستحق عليه العقاب وقد اجتنب الكبائر؛ نكفر عنه سيئاته، وإذا فعل الكبائر؛ قطع عليه ذلك بالعقاب.

كما ترى أن فعل الشرط في الآية الكريمة جاء على صيغة المضارع" تَجْتَنِبُواْ" مع أن الفعل هنا بمعنى المضى؛ لأن اجتناب الكبائر كان في الدنيا والجزاء عليه سوف يكون في الآخرة، وذلك لاستحضار الحالة التى يكون عليها المؤمن من اجتناب الكبائر في الدنيا، فالاجتناب يدل على" الْبُعْدُ"[٢]، فيكون المعنى بالشرط: فاجتنابكم الكبائر في حياتكم وصبر أنفسكم في الابتعاد عنها؛ نكفر لكم بها سيئاتكم وتثابوا عليها بالمدخل الكريم في جنات النعيم.

وصيغة الجمع في قوله تعالى:" كبائر " تدل على تعددها وكثرتها، فمن العلماء من قال أنها: "سبع، وهي إلى السبعين أقرب"[٣]، وهذا إن دل فإنه يدل على أن الكبائر من الذنوب العظام التي تجعل مرتكبها في وعيد وعذاب من الله "ﷻ"، فهي تسلب من المؤمن دينه ودنياه؛ لعدم اكتراثه بارتكابها، فقيل: إن الكبائر:" هِيَ كُلُّ جَرِيمَةٍ تُؤْذِنُ بِقِلَّةِ اكْتِرَاثِ مُرْتَكِبِهَا بِالدِّينِ وَبِضَعْفِ دِيَانَتِهِ"[٤].

كما جاءت جملة الصلة في قوله تعالى:" مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ " داخلة في حيز فعل الشرط، فالمعنى: إن تجتنبوا كبائر الذي تنهون عنه نكفر عنكم، وجملة الصلة إشارة إلى وجه بناء الخبر، فتلك الكبائر تدفع صاحبها إلى التهلكة ما لم ينته عن فعلها، ففاعلها

---

(١) التشويق في الحديث النبوي طرقه وأغراضه للدكتور بسيوني عبد الفتاح فيود، مطبعة الحسين الإسلامية، خلف الجامع الأزهر، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م، ص ٨٨.

(٢) مقاييس اللغة ٤٨٣/١، (ج ن ب).

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن ٢٤٥/٨.

(٤) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ، ٢٧/٥.

في ذم ووعيد حتى تنتهي نفسه عن تعاطيها، ويهدأ قلبه ويسكن عن التفكير فيها، فيكون النهي عنها منفعة ونجاة من العذاب.

كما أن في إضافة "الكبائر" إلى جملة الصلة" مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ " بيان من الله ﷻ أن الذنوب المنهى عنها نوعان: أولهما: كبائر يخشى مرتكبها العقاب والعذاب وهي الذنوب التي لا تغتفر، وأخرهما: صغائر وهى التي يقع فيها المؤمن بكثرة، فقد قابل رب العزة بين الكبائر التي لا تغتفر والسيئات التي تغتفر، وهو ما بينه الطاهر ابن عاشور في قوله:" قَدْ دَلَّتْ إِضَافَةُ كَبائِرَ إِلَى مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ عَلَى أَنَّ الْمَنْهِيَّاتِ قِسْمَانِ: كَبَائِرُ، وَدُونَهَا وَهِيَ الَّتِي تُسَمَّى الصَّغَائِرَ، وَصْفًا بِطَرِيقِ الْمُقَابَلَةِ"(١)، حيث بينت إضافة الكبائر إلى جملة النواهي أن هناك نوعًا آخر غيرها وهو صغائر السيئات، وهى التي تقبل التكفير عنها.

ومجيء جملة الجواب بقوله:" نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ "على صورة المضارع الدال على الاستمرار والتجدد؛ لمزيدٍ من التبشير والفرح للمؤمنين باستمرار وعد الله لهم بتكفير سيئاتهم عندما تنتهي قلوبهم عن المعاصي والفواحش الموبقة، وقد آثر القرآن الكريم الكريم لفظة " نُ " مع السيئات؛ لأن التكفير هو إماطة العقاب والستر، أي أن الله ﷻ يسترها ولا يعاقب عليها، فالعبد إذا فعل ما يستحق عليه العقاب ولكن دون فعل الكبائر؛ ستر الله "ﷻ" عليه وأمنه من العقاب، يقول الشيخ الشعراوي:" إن «الكفر» هو الستر «أي يسترها، ومعنى نسترها: يعني لا نعاقب عليها، فالتكفير إماطة للعقاب، ...، فإن ارتكب إنسان أمرًا يستحق عليه عقابًا وقد اجتنب الكبائر؛ يكفر عنه الله: أي يضع ويستر عنه العقاب"(٢).

أما قوله تعالى:" وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا " فهي جملة داخلة في حيّز جواب الشرط، كما أنها تتمة وشرح للعلة في اجتناب الكبائر، فتجدد التكفير عن السيئات وإدخال الجنة يكون باجتناب الكبائر المنهي عنها والرجوع بالنفس إلى الله خالقها، والتعبير بـ " مُّدْخَلًا

(١) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ، ٢٧/٥.
(٢) تفسير الشعراوي – الخواطر، لمحمد متولي الشعراوي، مطابع أخبار اليوم ٢١٥٢/٤.

" مجاز مرسل، علاقته الحالية، حيث أطلق على المحل لفظ الحال، فالمدخل الكريم هي جنة النعيم، وتكمن بلاغة هذا المجاز في دلالته على أن هؤلاء المؤمنين قد بلغوا منازل التعظيم والدرجات العلى عند الله؛ بما بذلوه في انصياعهم إلى ترك المعاصي واجتنابهم المنهيات وتضحيتهم في سبيل الوصول إلى تلك الجنة كل غالٍ ونفيس، فالمؤمنون قد اتبعوا الأسباب وجاهدوا أنفسهم، ولم يتواكلوا ظنًا منهم أن الجنة تُنال بالتمنى دون مجاهدة النفس وتروضيها ضد المعاصي.

ومن هنا أستطيع أن أقول: إن اجتناب الكبائر ليس على إطلاقه في الآية، بل هو مقيد بكل الكبائر التى جاءت من أول سورة النساء وصولا إلى الآية الكريمة التى نحن بصددها، فنرى اجتناب أكل مال اليتيم في قوله:" ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾ [1] ، فهذا النهى صريح في اجتناب الأكل، كما جاء النهى الصريح باجتناب أكل مال اليتيم عند بلوغه سن الرشد في قوله تعالى: "﴿ وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾[2]، كما جاء النهى الصريح -أيضًا- عن عدم جعل المرأة المتوفى عنها زوجها مَوْرُوثَةً عَنْهُ، فقال تعالي: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ ﴾ ، وختم النواهي: قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ [3]، فجاءت الآية الكريمة التي بين أيدينا؛ لتبين أن اجتناب تلك

(١) النساء: الآية ٢.

(٢) النساء: الآية ٦.

(٣) النساء: الآية ٢٩.

المحرمات والنواهي التي ذكرها الله ﷻ ليس لها إلا المغفرة والمدخل الكريم عند الله في جنات النعيم.

ثانياً: الاجتناب في آية سورة الشورى:

قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ [1] .

حملت الآية الكريمة معنى جليلًا، هو أن المؤمنين الذين يبعدون عن أفعال الأثم ويجتنبون الفواحش تكون لديهم ملكة في إمساك قوة الغضب لديهم، فمهما وقعوا في طوفان الغضب ومحركاته أمسكوا أنفسهم عن المنهيات من القتل، والضرب، والشتم، وكأن الآية هنا تُعد ثناء عليهم في الدنيا ومغفرة لهم في الآخرة.

جاءت الآية الكريمة في سياق الأسلوب الخبري، فبدأت بتعريف المسند إليه: بـ"اسم الموصول" في قوله:" وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ" ليبين أنهم موسومون بتلك الصفات في اجتناب الإثم والفواحش، فصاروا مشهورين بها دون غيرهم، وفي الموصولية دلالة على تمكن الوصف باجتنابهم تلك المنهيات، كما فيه تسجيل عليهم بهذا الوصف وإثباته لهم، والتعريف باسم الموصول –هنا– لتفخيم وتعظيم هؤلاء المجتنبين لما نهى الله ﷻ عنه، "ومما هو بين ـ هنا ـ في العدول إلى الصلة؛ لأنه حرص على ذكر صفات متأصلة فيهم تعظيمًا"[2] لأفعالهم وصفاتهم التي ذكرتها الآية، فإن الذي يقدر على اجتناب كبائر المحرمات جدير بأن يمسك قوة غضبه.

كما أتى بلفظ " يَجْتَنِبُونَ" فعلًا مضارعًا؛ إتمامًا للمعنى السابق، وإكمالًا له، وذلك لأن في مجيئه على هذه الصيغة دلالة على تجدد حدوث الاجتناب، وتكرره مع كل فعل يدعوا له، وفي هذا مزيد تكريم وتفضيل لهم، وهذا المعنى الذي أشار إليه القرآن الكريم في

---

(١) الشورى: الآية ٣٧.

(٢) ينظر: خصائص التراكيب للدكتور محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٤١٦هـ– ١٩٩٦م، ص ٢٣٠.

الآية السابقة، والتي عطف عليها الآية التي بين أيدينا في قوله: ﴿ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (١)، فالإيمان بالله والتوكل عليه من الأمور الباطنة التي تحتاج إلى دلائل بخلاف الأعمال الظاهرة، فكان اجتناب الكبائر والتحلي بالفضائل –التي هي جلب للمصالح– من شيمهم وصالح أمرهم؛ فجاء الربط في التعبير عن خصالهم بالموصول وصلته، كما أن "الفعل المضارع يجعل الحدث الغائب كأنه يقع الآن، وأحداثه تنقضي أمام الرائي، فالجوانب الغيبية التي لم تقع عليها حاسة الإنسان، ولم تدرك حقيقتها؛ يجعل منها المضارع مشاهدات تخالط المشاعر وتلتبس بها..."(٢).

كما جاء الوصل بـ"الواو" بين قوله تعالى:" وَٱلۡفَوَٰحِشَ " وقوله: "كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ " ليدلل جل جلاله أنهما جُمعا في عقد واحد، وهي: "المعاصي"؛ فكل من الكبائر والفواحش مما نهى عنه الشرع والعقل، فالعطف بينهما بـ"الواو" ساعد كثيرًا في إتمام المعنى المراد؛ لأن كبائر الإثم والفواحش يجتمعان في صفة واحدة شاملة وهي: المعاصي"، وقد تقدم التحذير من الاقتراب منها مع ما فيها من وعيد وترهيب، وفي ذلك إشارة إلى سوء العاقبة من مغبتها، فالتوسط بين الكمالين لوجود الجهة الجامعة بينهما، فكلاهما مسند للمعاصي التى تُخرج من رحمة الله، وهذا المعنى أشار إليه الإمام القرطبي فقال:" الْفَوَاحِشُ وَالْكَبَائِرُ بِمَعْنًى وَاحِدٍ، فَكَرَّرَ لِتَعَدُّدِ اللَّفْظِ، أَيْ يَجْتَنِبُونَ الْمَعَاصِيَ؛ لِأَنَّهَا كَبَائِرُ وَفَوَاحِشُ"(٣).

---

(١) الشورى: الآية ٣٦.

(٢) ينظر: بلاغة القرآن الكريم دراسة في أسرار العدول في استعمال صيغ الفعل، لظافر ابن غرمان العمري، مكتبة وهبة القاهرة، ط:١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، ص ١٦٣.

(٣) الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، لشمس الدين القرطبي، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م، ٣٥/١٦.

ثم يذكر رب العزة صفة أخرى لعباده، فيقول ﷻ: " وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ "؛ ليُخصص لهم الوصف بالسماحة وطيب الخلق؛ لأن المتبادر إلى الذهن عند سماع الغضب هو الإضرار بالغير؛ فجاء منبهًا على عفوهم بآداة التحقيق التي وليتها "ما" التأكيدية، فقال: " وَإِذَا مَا " ليدلل على أنه الغضب الآخذ الذي يقدر صاحبه على العفو ويقدر -أيضًا- على الانتقام، فقال:" غَضِبُوا " ليبين أنهم كلما تجدد غضب حولهم؛ جددوا له غفرانًا ومسامحة، فلا تأخذهم العزة بالإثم في الانتقام، كما فيها حض للمؤمنين في كسر شوكة الغضب، وإطفاء جمرته، وهذا ما ذكره العلماء من أن في الآية :" حض على كسر الغضب والتدرب في إطفائه؛ إذ هو جمهرة من جهنم، وباب من أبوابها"(١).

كما أن في تقديم ضمير الفصل في قوله عز وجل:" هُمْ يَغْفِرُونَ"، وبناء الخبر عليه؛ ليؤكد أن تلك سجاياهم وطبائعهم التي خصهم الله بها، ولذا قدم الضمير على الغفران، فقال الإمام البيضاوي:"بناء يَغْفِرُونَ على ضميرهم خبرًا للدلالة على أنهم الأخصّاء بالمغفرة حال الغضب"(٢)، فالاختصاص فيه مزيد تشريف بهؤلاء المؤمنين الذين لا يسبق عقابهم غضبهم، وقال الإمام البقاعي في وقفته مع الآية الكريمة:" إن بواطنهم في غفرهم كظواهرهم فقال: {هم يغفرون} أي الأخصاء بأنهم كلما تجدد لهم غضب جددوا غفرًا، أي محوًا للذنب عينًا وأثرًا مع القدرة على الانتقام، فسجاياهم تقتضي الصفح دون الانتقام، ما لم يكُن من الظالم بغي؛ لأنه لا يُؤاخَذ على مجرد الغضب إلا متكبر"(٣).

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،لابن عطية الأندلسي،تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد،دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ،٣٩/٥.

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للإمام البيضاوي، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ، ٨٣/٥.

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لإبراهيم البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ٣٣٠/١٧.

وأقول أن هذه الآية لها صلة وربط مع الآية الأولى في قوله تعالى: ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴾ [1] فالأية الأولى جاءت بأسلوب الشرط الذي فيه حث وأمر باجتناب الكبائر ....، ثم جاء الترقي في درج المعنى للمؤمنين بوصفهم أنهم على ربهم يتوكلون، فتلك من أخص صفاتهم أنهم يجتنبون كبائر الاثم والفواحش...، وتلك دلالات اصطفاء الله ﷻ للذين أمنوا فتوكلهم عليه ﷻ جعل نفوسهم تتجنب كل المعاصي والذنوب، ولما كانت تلك أوصافهم وأحوالهم في تجنبهم للمعاصي؛ فزاد مدحهم بقوله ﷻ :" وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ".

ثالثًا: الاجتناب في آية سورة النجم:

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰ ﴾ [2].

تتحدث الآية عن فئة من العباد يبتعدون عن الكبائر، ويقعون أحيانا في الصغائر التي يغفرها الله برحمته؛ لأنه أعلم بعباده، فهو منشؤهم وخالقهم من طين قبل أن يكونوا أجنة، ولذا فلا تزهوا بأنفسكم فهو أعلم بالمتقين من غيرهم.

جاءت الآية الكريمة على الأسلوب الخبري بتعريف المسند إليه بالموصولية في قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ ﴾ ، فالتعريف هنا فيه تمكين من ذكر أوصاف يحرص القرآن الكريم على إبرازها في هؤلاء الذين وعدهم الله بالحسنى في الآية السابقة للآية التي بين أيدينا، فجاء فيها جزاء الحسنى وعقاب السيئة، فقال ﷻ ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴾ [3]، فهؤلاء الذين يكفون أنفسهم ويجهدونها في ترك كبائر الإثم التي بين الله ﷻ حرمتها بالوعيد والعقاب، كما نرى دقة

---

(١) سورة النساء آية ٣١.

(٢) سورة النجم آية ٣٢.

(٣) سورة النجم آية ٣١.

القرآن وبلاغته المعجزة في إبراز صفات المؤمنين من خلال الموصول الذي أتاح لنا معرفة تلك الصفات وأهميتها.

أما التعبير بالفعل المضارع بقوله: ﴿يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ﴾ فدلالة على تجدد واستمرار الاجتناب في كل وقت وزمان، وقد دل الفعل المضارع على تلك الحركة المتعاقبة السريعة في الترك والبُعد عن المعاصي كلما وقعت أمامهم، فصور المضارع للسامع تلك الاستجابة في صورة حسية مشاهدة وكأنها" واقع محسوس أو منظر مشهود"(١).

أما قوله تعالى:" إِلَّا ٱللَّمَمَ" فليبين أن اللمم خارج عن دائرة الكبائر من خلال الاستثناء المنقطع بـ:"إلا" التي وضعت فيه موضع "لكن" ليبين لمن قد تأخذه نفسه بأن الاستهانة بالفعل الصغير قد يصير كبيرًا، فقد أشار الإمام البقاعي إلى معنى إلا فقال:"هو استثناء منقطع، ولعله وضع فيه {إلا} موضع {لكن} إشارة إلى الصغير يمكن أن يكون كبيرًا باستهانته"(٢)، فاللمم: "صغار الذنوب، والمراد هنا ما يحصل منها في الأحيان، كأنه وقع في صاحبه فلتة بغير اختيار منه، لا ما يتخذ عادة أو يكثر حتى يصير كالعادة"(٣)، فالإنسان قد يلَّم بالذنب بين الحين والآخر، ولكن لا يكون له إعادة ولا إقامة عليه، فتسبق رحمة الرحمن بالمغفرة وعدم المؤاخذة.

كما أن في دلالة الاستثناء أمرًا آخر: فقد يقع في روع السامع أن النهى –هنا– قد يجعل اللمم في حيز الكبائر، فعندما أتت "إلا" بيَّنت أن مرتكب تلك السيئات لا يعامل معاملة مرتكب الكبائر، ولا يدخل في حيز عقابه وسيئاته، وسر الدلالة هنا هي رحمة الله ﷻ بالمؤمنين؛ لأن مرتكب اللمم لا يقلل من عبادته لله ﷻ، ولا من نشاط الطاعة في

---

(١) جماليات الحركة في التعبير القرآنى لصالح ملا عزير، كلية التربية للعلوم الإنسانية جامعة صلاح الدين أربيل، ص ٢.

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٦٧/١٩.

(٣) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

قلبه وعمله، فتلك البشارة من الله ﷻ لعباده؛ حتى ينصرفوا عن فعل تلك الصغائر كما أطلق عليها العلماء.

أما قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ فوقعت تعليلًا للمعنى السابق؛ لما قد يقع في روع السامع من أن الملوك لا يغفرون لمن تكررت ذنوبهم؛ فعلَّل مالك الملك أن رحمته واسعة، يغفر الصغائر وإن تعددت، ويعفو عن الكبائر وإن تعاظمت، ومجيء التأكيد من خلال أداته" إنّ"؛ رغبة منه ﷻ في تأكيد المعنى وهو تجاوزه عن صغائر الذنوب وإن كثرت؛ فهي "لتوكيد نسبة الخبر للمبتدأ وتقريرها في ذهن السامع"(١)، فتناسب مع رحمته بعباده.

كما جاء المسند إليه" رَبَّكَ " دون التعبير بالاسم العلم "الله"؛ ليستحضر عظمته ورحمته في قلوب عباده، كما فيها إشعار منه ﷻ على أنه ﷻ رفيق بعباده الصالحين واسع المغفرة لهم، وهكذا شأن الرب مع مربوبه في رحمته ورفقه به، ولقد أشار الطاهر بن عاشور إلى ذلك بقوله:" فِي بِنَاءِ الْخَبَرِ عَلَى جَعْلِ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ رَبَّكَ دُونَ الِاسْمِ الْعَلَمِ؛ إِشْعَارٌ بِأَنَّ سِعَةَ الْمَغْفِرَةِ رِفْقٌ بِعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ شَأْنَ الرَّبِّ مَعَ مَرْبُوبِهِ الْحَقِّ"(٢).

وقد أثر الذكر الحكيم أسلوب التفات في هذه الآية، من الغيبة في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ﴾ إلى خطاب الواحد في قوله تعالي: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ ، ثم على خطاب الجماعة في قوله تعالى:﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ وما يبعثه أسلوب الالتفات من تنشيط الذهن، وإثارة العقل؛ لمخالفة ظن المخاطب، لأنه يتوقع بعد الجزء الأول في الآية أن يأتي الجزء الثاني على نسقه ونمطه، فيكون: إن ربهم واسع المغفرة، هو أعلم بهم....، ولكن جاءت المخالفة للتنشيط والإثارة، يقول الشيخ أبو موسى عن قيمة أسلوب

---

(١) أساليب التوكيد في أدب الرافعي دراسة نحوية دلالية، للباحثة فاطمة حسين السيد حسين، بحث مقدم لنيل درجة التخصص الماجستير بكلية العلوم، جامعة القاهرة، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م، ص٣٦.

(٢) التحرير والتنوير ١٢٢/٢٧.

الالتفات في تنقله من أسلوب إلى أسلوب آخر:" له فائدة ذات قيمة كبيرة في الأسلوب؛ لأن إيقاظ الحس وإثارة الملكات من أبرز العناصر التي تتوافر في الكلام المختار"(١) .

وقد بيّن السمين الحلبي السر في إضافة ضمير الخطاب إلى النبىﷺ دون ضمير الجماعة:" ربكم" فيه البشارة الكبرى لأمة محمدﷺ أن مغفرة الله لنا قد جاءت من بركة وجودهﷺ فينا، كما نرى في الآية وعيد للمسيئين ووعد للمحسنين، فلا ييأس فاعل الكبائر من رحمته ﷻ ولا يتوهم وجوب العقاب على الله ﷻ، وهذا المعنى ذكره البيضاوى فقال: "حيث يغفر الصغائر باجتناب الكبائر، أو له أن يغفر ما شاء من الذنوب صغيرها وكبيرها، ولعله عقب به وعيد المسيئين ووعد المحسنين؛ لئلا ييأس صاحب الكبيرة من رحمته ولا يتوهم وجوب العقاب على الله تعالى"(٢).

ويتم الله ﷻ رحمته على عباده بتلك الاستعارة في قوله: ﴿وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِۚ﴾ فاستعار السعة لكثرة الشمول والاحتواء، فشبه الشمول والاحتواء بالمكان المتسع، ثم حذف المشبه وأقام المشبه به مقامه بجامع اتساعه لكل من يرده، على سبيل الاستعارة المكنية، فالمكان الواسع يحتوى على الكثير والعديد ممن يقيمون فيه، وتلك بشارة الله ﷻ للمؤمنين الذين يجتنبون ما نهى الله عنه، وإذا ما وقع منهم سيئة دون قصد أو اختيار لجئوا إلى واسع مغفرته التي وسعت مغفرته السماء والأرض، فهو وحده العالم الخبير بعباده الذين أنشأهم أجنة في بطون أمهاتهم، وسر بلاغة الاستعارة هنا تقرير وتأكيد صفة رحمة الله ﷻ بعباده، فهي: " تقرر الصفة بطريقة مؤكدة، وموجزة قريبة من تجربة السامع أو القارئ"(٣).

---

(١) ينظر: خصائص التراكيب،ص٢٩٦.

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١٦٠/٥.

(٣) علم البيان للدكتور مصطفى هدارة، دار العلوم العربية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م، ص ٧٨.

كما جاء قوله: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ استئنافًا بيانيًا لقوله:﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ ليؤكد الله ﷻ رحمته الواسعة للمؤمنين على تلك الصغائر التي قد تقع منهم على اختلاف أحوالهم وأفعالهم، فقد يهجس إلى النفس أن الله ﷻ لا يعاملهم إلا بأفعالهم الظاهرة، فبدأتْ النفس بالبحث عن أسباب تلك الرحمة والمغفرة الواسعة من الله لعباده، فجاءت الإجابة من العلي القدير أنه هو أعلم بهم وبأحوالهم منذ أن جعلهم نطفة مستورين في بطون أمهاتهم، يدبر أمرهم ويعلم سرهم وخفايا صدورهم، فالله ﷻ قد علم بضعفهم منذ أنشأهم من نسل أبيهم آدم فقَالَ تَعَالَى: ﴿وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾ (١)، فهذا الضعف يستلزم سعة التجاوز بالرحمة والمغفرة، ولا يكون إلا من عالم بمراحل تتطور تلك الأجنة من وقت كونها نطفة إلى وقت ولادتها، فجاء قوله:" فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ " صفة تكشف تطور تلك المراحل في عمر الأجنة، فالجنين لا يقال عليه جنينً إلا في بطن أُمه.

وقد يحصل في النفس التفاخر والتباهي -على عادة الإنسان- في بُعده عن السيئات والمعاصى؛ فيمدح نفسه ويزكيها، ويسبق عليه الكتاب فيشقى، فعلل الله ﷻ بقوله: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ﴾ فالفاء هنا للتفريع أو سببية، فالمعنى لا تفتخروا بالطهارة والبُعد عن الذنوب ولا تمدحوا أنفسكم أو غيركم فيظهر لكم خلاف ذلك؛ ولذا علل الله ﷻ بقوله:" ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾ ؛ لينبه ﷻ أنه أعلم بجميع خلقه منكم، وخاصة من هم يجاهدون أنفسهم عن الفواحش وكبائر الإثم حتى حصل لهم التقوى، والقصد من الضمير في قوله: "هو" للتفخيم والتعظيم، ويدلك مجيئه على التعريف إلى ذيوع معرفته ﷻ بسرائر عباده وأحوالهم، ولذا آثر القرآن التعريف بالضمير دون غيره من طرق التعريف، ولأن المقام مقام تخويف ووعيد جاء التعبير بقوله:" أَعْلَمُ " دون غيرها؛ لأن: "الْعلم يكون مُجملًا ومفصلًا، كما أنه اعْتِقَاد الشَّيْء على مَا هُوَ بِهِ على سبيل الثِّقَة

(١) النساء: من الآية ٢٨.

وَالْيَقِين" [1]، فجاء الأمران محققين من: الوعد لمن اتقى، والوعيد لمن عصى، فالله ﷻ يعلم ما تكنه الصدور وما تخفيه.

كما نلحظ –هاهنا– في هذه الآية زيادة عن سابقتها؛ ففيها: جانبًا من جوانب الإعجاز القرآني في رسم منهج السلوك وفنّ التعامل، فالقرآن نزل من عليم خبير بأحوال المخاطبين ونفسياتهم ؛ ولذا جاء التدرُّج في كيفية تعامل المؤمنين مع الذنوب التي لا ينجو منها أحدًا إلا من رحم ربي العظيم، فالآية دعت أولًا: إلى اجتناب المهلكات من الكبائر والفواحش ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ ﴾ ، فالنفس البشرية تميل دائمًا إلى التنبيه فيما يتعلق به الجزاء والعقاب، فاجتناب الإثم والفواحش يُعد من دلالات البشارة التي ذكرها الله ﷻ في الآيات السابقة التي تعلق السياق بها، فالنجاة من المعاصي أسمى وأشرف ما يصل إليه الإنسان.

كما أنها دعت آخرًا: إلى البشارة للذين يقعون في صغائر الذنوب بسعة رحمة الله وشمولها لهم في عدم مؤاخذتهم ﴿ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰ ﴾ كما أنها تأكيد لتلك البشارة بشمولهم في المغفرة.

رابعاً: الاجتناب في آية سورة الحجرات

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ [2].

يرشدنا الله ﷻ إلى ترك الظن واجتناب سوء عواقبه، فما أهلك الأمم السابقة إلا سوء ظنهم.

---

(١) ينظر: الفروق اللغوية لأبى هلال العسكري، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة ، مصر، ٨١/١.

(٢) الحجرات: الآية ١٢.

جاءت الآية الكريمة على الأسلوب الإنشائي القائم على النداء بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾ لينبههم ﷻ ويقرع أسماعهم بما يجب عليهم تركه والابتعاد عنه وهو الظن، فالنداء تنبيه وإيقاظ، فـ"الذي ينبه ويوقظ قبل توجيه الأمر أكثر حرصًا على الأمر من الذي يأمر قبل هذا التنبيه"(١)، وسر النداء بالبعيد مع أن الله ينادي عباده، وهو أقرب إلينا من حبل الوريد، بقوله: "يَٰٓأَيُّهَا" دلالة على عظم المعاني التي نودوا إليها، وآثر القرآن الأداة الموضوعة للبعيد رغم قرب المنادى منه فهم عباده؛ لينبه إلى عظم هذه المعاني التي نودوا من أجلها، كما أن هذه الأداة توفر تنغيمًا صوتيًا من خلال "مد الصوت بالألف"(٢)، كما أن" (يَا) حَرْفٌ لِلنِّدَاء القريب والبعيد، وَهُوَ أَكْثَرُ حُرُوفِ النِّدَاءِ اسْتِعْمَالًا، فَهُوَ أَصْلُ حُرُوفِ النِّدَاءِ، وَلِذَلِكَ لَا يُقَدَّرُ غَيْرُهُ عِنْدَ حَذْفِ حَرْفِ النِّدَاءِ، وَلِكَوْنِهِ أَصْلًا كَانَ مُشْتَرَكًا لِنِدَاءِ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ"(٣)، وامتداد الصوت بالألف أنسب مع الغاية المنشودة من بلوغ التحذير منتهاه إلى عباده فيسمع أولهم وآخرهم.

وأُتْبع النداء بأسلوب آخر وهو أسلوب الأمر: ﴿ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾ فالأمر هنا جاء للتمحيص والنظر في التمييز بين الظن الباطل والصادق في المعاملة بين الناس، وحثت الآية الكريمة على وجوب الحذر من مغبة تلك الظنون وعواقبها على الناس والمجتمع، والسر في إيثار صيغ الإنشاء هنا لأنها: "معبأة ومشحونة بطاقات من العواطف والانفعالات، وتبعد عن أسلوب الحكاية والسرد والإخبار، وتتوهج بحدة المشاعر وقوة الانفعالات"(٤)، فالحث على اجتناب الظن والتحذير من عواقبه قوّى أسلوب الأمر في

---

(١) الشعر الجاهلي دراسة فى منازع الشعراء للدكتور محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، ط٢، ١٤٢٣هـ-٢٠١٢م، ص ٢٥٦.

(٢) معاني النحو، للدكتور فاضل صالح السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، ٢٩١/٤.

(٣) التحرير والتنوير ٣٢٤/١.

(٤) التصوير البياني في شعر المتنبي، للدكتور الوصيف هلال الوصيف إبراهيم، مكتبة وهبة، ط١: ١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م، ص ١٠٠.

دلالته، وهو ما أشار إليه الشيخ أبو موسى في قوله: "مما يقوى به أسلوب الأمر أيضًا أن يقع بعده ما يحث عليه"(١).

كما نرى أن حذف المتعلق في الآية:﴿ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾ فالمعنى اجتنبوا الظن المتعلق بأحوال الناس، وحذف المتعلق هنا؛ لتذهب به النفس كل مذهب من التدبر والخوف من مغبة الظن، وقد أشار الطاهر بن عاشور إلى ذلك فقال:" الْمُرَادُ بِ الظَّنِّ هُنَا: الظَّنُّ الْمُتَعَلِّقُ بِأَحْوَالِ النَّاسِ وَحُذِفَ الْمُتَعَلِّقُ لِتَذْهَبَ نَفْسُ السَّامِعِ إِلَى كُلِّ ظَنٍّ مُمْكِنٍ هُوَ إِثْمٌ "(٢).

أما قوله تعالى: ﴿إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞ﴾ فاستئناف بياني لقوله تعالى: ﴿ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾؛ لأن السامع يقع مع نفسه عند سماع قوله تعالى:﴿ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾ ويحتاج إلى توضيح وبيان هل كل الظن إثم؟ فيجيب القرآن بأن بعضه أثم، فلزم التخويف والتحذير من مغبته وسوء عاقبته، وهذا له أثر في تقوية المعنى وتقريره، ولذا جاء الظن مبهمًا دون تفصيل، وهذا أردع للنفس في التخويف؛ لأن الإبهام يجعلها دائمًا في الحيطة والحذر منه، ولذا نبّه القرآن على سوء عاقبته دون تفصيله.

أما قوله تعالى:﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ فجاءت على أسلوب النهى؛ للفت الانتباه للمنهى عنه وتركه والبُعد عنه، فالله يحذر من التجسس والظهور على عورات الناس، وجاء بالنهى هنا؛ ليكون ذلك أفعل في نفس السامع من التقبيح والكف عن الفعل، وأدعى إلى الامتثال؛ لأن ميل النفس إلى الرغبة في معرفة أخبار الناس وأحوالهم تجعلهم يتجسسون على غيرهم، ودخول أداة النهى على الفعل المضارع" تجسسوا"؛ ليعكس الله به أثر التقبيح والاستنكار على هذا الفعل فالتعبير بمادة" جسَّ" تدل على:" تَعَرُّفُ الشَّيْءِ

(١) دلالات التراكيب للدكتور محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٧م، ص ٢٥٦.

(٢) التحرير والتنوير ٢٦/٢٥١.

بِمَسٍّ لِطَيْفٍ، وسمى الجاسوس؛ لِأَنَّهُ يَتَخَبَّرُ مَا يُرِيدُهُ بِخَفَاءٍ وَلُطْفٍ"[1]، ولتصدر الآية بالنداء سر من أسرار بلاغة القرآن؛ وهو لفت الانتباه للأوامر الآتية بعدها، فـ"النداء يصحبه ـ غالبا ـ الأمر والنهى والاستفهام، وكأن النداء يُعدّ النفس ويهيؤها لتلقى تلك الأساليب، ولذا فهى تتقوى به؛ لأن النداء يوقظ الحس ويلفت الذهن وينبه المشاعر، فإذا جاء بعده الأمر أو النهى أو الاستفهام، صادف نفسًا مهيأة يقظة، فيقع منها موقع الإصابة، حيث تتلقاه بحس واع وذهن متنبه"[2].

ثم أتبعه بنهى آخر بقوله: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ فلما نهى الله ﷻ عن الظن أتبعه بما يتفرع عليه، فذكر أولا: مغبة التجسس وما فيه من كشف العورات واستباحة الأعراض، وأتبعه بالغيبة بأسلوب النهى:" وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ " فالنهى عن الغيبة والنميمة من النواهي التي عظم الله حرماتها، وبلاغة إعجاز القرآن الكريم في كونه يظهر الخفي ويزيل الغموض ويصور المعاني كأنها شاخصة أمام سامعيها، وهذا ما جاء في تمثيله وتصويره لسوء الغيبة بقوله: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾فشبه حال من يغتاب غيره وينتهك عرضه بحال من يأكل لحم ميتة وزاد في بشاعتها أنها لحم إنسان، بجامع الهيئة الحاصلة :"من أكل ما تنفر منه العقول وتستقزه العيون"، حيث أراد الله ﷻ بهذا التشبيه تحريك مشاعر عباده والتأثير فيهم، بل ودفعهم إلى التفكير في بشاعة هذا الأمر، والتفكير فيما يرجح الكفة لصالحهم من اجتناب تلك المنهيات، والغرض منه إيضاح المعنى وتأكيده؛ لإن" الصورة الحسية أعمق وأبلغ في نقل التأثير المنشود من الصور الذهنية التي لا تلمتس

(١) مقاييس اللغة ١/٤١٤،(ج س س).

(٢) علم المعانى دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعانى للدكتور بسيونى عبد الفتاح فيود، مكتبة وهبة، ١٤٠٧هـ، ٢/ ١٥٤.

عناصرها من الواقع الحي الملموس"[١]، وحملت الآية دقائق أخرى منها الاستفهام التقريري في "أَيُحِبُّ فـ "التقرير في هذا الاستفهام ليس المراد به التقرير الذي يحمل المخاطب علي الإقرار بأمر ينكره أو يعارض فيه. إنما هو التقرير الذي يعنى التحقيق والتأكيد"[٢]، وسر دلالة الاستفهام وتعلقها بالمحبة في معرض الكراهية؛ إشعار بتفظيع شأن الغيبة، ولذا أسند الفعل إلى أحدكم؛ ليدلل على أن أحد منهم من يغتاب صاحبه دون الآخر، وفيه ما فيه من الكراهة والبشاعة ما لا يخفى، مما يعمل على الإقناع والإمتاع في نفس السامع حيال تلك المنهيات التي فصل الله أمرها لعباده.

ويرتب القرآن الكريم المعاني بعضها على بعض فيقول الله جل جلاله: ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ بالواو التي أفادة ترتيب ما بعدها على ما قلبها من التمثيل والتصوير لشأن المغتاب الذي يأكل أعراض غيره، وجاء الأمر بتقوى الله في كل فعل وقول يصدر، مع ما يحمله أسلوب الأمر من التحذير والتهديد لمن تسول له نفسه الاقتراب لما أمر الله باجتنابه، وكما جاء الطباق بين"يحب، والكره" في قوله:" أَيُحِبُّ ،فَكَرِهْتُمُوهُ فالطباق هنا لتقرير المعنى، كما أنه يرسم صعوبة الأمر وتفظيعه للمتلقي، فمن:" شأن الطباق أن يظهر المعنى وأن ينبه الأذهان، ويحرك العقول؛ إذ يجمع بين المعانى المتضادة، وبالوقوف عليها يزداد المعنى جمالًا ورسوخًا في الأذهان، واستقرارًا في العقول"[٣]، يأتي قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ﴾ تذييلا غير جار مجرى المثل؛ لتعلقه بما قبله في معناه؛ فالأمر بالتقوى التي هي جماع الاجتناب والامتثال، فالتذييل –هنا– يبين أن من كان مجتنبًا لتلك المنهيات فالأمر بالتقوى يجعله في وقاية منها في المستقبل، وأما من تلبس بها

(١) النابغة الذبياني مع دراسة للقصيدة العربية في الجاهلية، لمحمد ذكي العشماوي، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م، ص٢٩٠.

(٢) دلالات التراكيب ص٢٢٥.

(٣) بلاغة تطبيقية دراسة لمسائل البلاغة من خلال النصوص للدكتور بسيوني عبد الفتاح فيود، ، مؤسسة المختار للطباعة والنشر، القاهرة، ط١ ، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م، ص ١٣٢.

فالأمر بالتقوى يجمع له الكف عنها وعدم التلبس بها، وهذا المعنى أشار إليه الطاهر بن عاشور حيث قال إن الآية تقع :" عَطْفٌ عَلَى جُمَلِ الطَّلَبِ السَّابِقَةِ ابْتِدَاءً مِنْ قَوْلِهِ: اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ هَذَا كَالتَّذْيِيلِ لَهَا إِذْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى وَهِيَ جِمَاعُ الِاجْتِنَابِ وَالِامْتِثَالِ فَمَنْ كَانَ سَالِمًا مِنَ التَّلَبُّسِ بِتِلْكَ الْمَنْهِيَّاتِ فَالْأَمْرُ بِالتَّقْوَى يُجَنِّبُهُ التَّلَبُّسَ بِشَيْءٍ مِنْهَا فِي الْمُسْتَقْبَلِ، وَمَنْ كَانَ مُتَلَبِّسًا بِهَا أَوْ بِبَعْضِهَا فَالْأَمْرُ بِالتَّقْوَى يَجْمَعُ الْأَمْرَ بِالْكَفِّ عَمَّا هُوَ مُتَلَبِّسٌ بِهِ مِنْهَا"(١).

ويختم تعالى الآية بتذييل آخر:﴿إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾، وهو تذييل جار مجرى المثل؛ لأن التقوى تأتى بالتوبة بعد التلبس بالإثم، ورحمة الله شاملة لجميع خلقه.

خامساً: الاجتناب في آية سورة المائدة:

قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ (٢) .

ترشدنا الآية الكريمة إلى معرفة ما يجب علينا اجتنابه في المشَّرب والملعب، وغيرها مما شاع عندهم، فالآية الكريمة نزل قبلها حال المأكل، ووصفه بكونه حلالًا طيبًا، فقال تعالى: ﴿ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ﴾ (٣).

جاءت الآية على الأسلوب الإنشائي القائم على النداء بقوله:" ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ فبدأت بالنداء للمؤمنين؛ لينبههم إلى نهيه ﷻ عن استحلال الحرام في شرب الخمر، ولعب الميسر، وتحريم ما ذبح على النصب، والاستقسام بالأزلام؛ فكل هذا رجسٌ من عمل الشيطان يجب اجتنابه والابتعاد عنه؛ حتى يفوز المؤمن بالفلاح عند الله"ﷻ"، فسر النداء أنه: "يهيئ المنادى

(١) التحرير والتنوير، ٢٥٧/٢٦.

(٢) المائدة: الآية ٩٠.

(٣) المائدة: من الآية ٨٨.

وينبهه فيصغى بعناية وتشوق إلى ما يُوجّه إليه بعد النداء، ويترقبه ويتطلع إلى معرفته والإحاطة به، فهو طريق من طرق التشويق إلى المعنى"[(١)]، كما لا يخفى أن سياق الآية جاء مرتبطًا بما قبله، فعند النظر نجد أن الآية وقعت استئنافًا للخطاب السابق في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾ [(٢)] حتى ينتظم مضمونه في مضمون الخطاب السابق فقوله: وَلَا تَعْتَدُوا؛ لُيبين ﷻ أنه كما نهى عن تحريم المباح نهى -أيضًا- عن استحلال الحرام، فهناك طيبات قد كانت مضمومة في سلك الحلال لدى المسلمين قبل أن يحرمها القرآن الكريم، فأراد الله ﷻ أن يضمها في عقد واحد حتى يكتب لمن يتجنّبُها الفلاح والفوز، فقد قال علماؤنا أن الآية:" اسْتِئْنَافُ خِطَابٍ لِلْمُؤْمِنِينَ تَقْفِيَةً عَلَى الْخِطَابِ الَّذِي قَبْلَهُ؛ لِيُنْظَمَ مَضْمُونُهُ فِي السِّلْكِ الَّذِي انْتَظَمَ فِيهِ مَضْمُونُ الْخِطَابِ السَّابِقِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: {وَلا تَعْتَدُوا} الْمُشِيرُ إِلَى أَنَّ اللَّهَ، كَمَا نَهَى عَنْ تَحْرِيمِ الْمُبَاحِ، نَهَى عَنِ اسْتِحْلَالِ الْحَرَامِ، وَأَنَّ اللَّهَ لَمَّا أَحَلَّ الطَّيِّبَاتِ حَرَّمَ الْخَبَائِثَ الْمُفْضِيَةَ إِلَى مَفَاسِدَ، فَإِنَّ الْخَمْرَ كَانَ طَيِّبًا عِنْدَ النَّاسِ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًاۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴾ [(٣)] "[(٤)].

أما قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ ﴾ فجاءت من قبيل قصر الموصوف على الصفة أى أن المذكورات الأربعة من "الخمر، والميسر والأنصاب، والأزلام" مقصورات على الاتصاف بصفة الرجس لا يتجاوزه إلى غيره، كما أنها تُعد من قبيل القصر الإدعائى للمبالغة في عدم الاعتداد بما عدا صفة الرجس لتلك المحرمات، فهذه الأية قطعت بالبيان الشافي في تحريم الخمر والميسر، بينما آية البقرة قبلها لم تقطع بذلك، وإنما جاء فيها التساوق بين الأثم والنفع للناس، مع غلبة الأثم، فقال

(١) التشويق في الحديث النبوى طرقه وأغراضه، ص ٣١.

(٢) المائدة: الآية ٨٧.

(٣) النحل: الآية ٦٧.

(٤) التحرير والتنوير ٢١/٧.

تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ (١)، فجاءت آية المائدة؛ لتقطع بالتحريم والاجتناب عنها وعدم القرب منها، فكان التنبيه إلى دحض ما فيهما من المنفعة مقابلة بما فيهما من الإثم، فحصر القصر بـ"إنما" صفة الرجس عليها، فيكون المعنى أن تلك المذكورات منحصرة ومقصورة على كونها رجس يعاقب من يقترب منها، فهذا هو الوصف الأول لتلك المحرمات، وآثر القصر في آية المائدة؛ لأنه من ضروب التوكيد، وفيه تكرير للجملة، يقول الطاهر بن عاشور:" وَمَا الْقَصْرُ إِلَّا تَوْكِيدٌ مُضَاعَفٌ"(٢)، كما أنه جاء لتثبيت هذه المعاني في نفوسهم فيشتد عزمهم في تركها والابتعاد عنها.

كما أنه جاء القصر بـ "إنما" دون غيرها من أدوات القصر؛ للدلالة على أن هذه الأشياء المذكورة من الرجس أمر مسلم لا شك فيه... كما نبه على ذلك الإمام عبد القاهر والبلاغيون من بعده، حيث قال : "اعلم أن موضوع "إنما" على أن تجيء لخبر لا يجهله المخاطب ولا يدفع صحته، أو لا ينزل هذه المنزلة"(٣)، فدلل الله ﷻ أن تلك المحرمات لا ينكرها عقل ولا قلب تعلق بخشية الله ﷻ.

كما أفرد الله ﷻ {الرجس} في الآية ولم يأتي به مجموعًا مع تكرار الموصوفات؛ دلالة على تفرده وتمايزه عن غيره، حتى كأن الموصوف به هو عين الرجس، فالرِّجْسُ في اللغة يطلق على:" الْقَذِرُ، وَقَدْ يُعَبَّرُ بِهِ عَنِ الْحَرَامِ وَالْفِعْلِ الْقَبِيحِ"(٤)، وهناك سر بلاغي آخر؛ لأن في الإفراد مفاجأة السامع، وإثارة دهشته وأخذه في البحث عن أسرار هذا العدول، كما أن في الإفراد أيضًا؛ دلالة على ما تكون عليه تلك المحرمات من

(١) البقرة: الآية ٢١٩.

(٢) التحرير والتنوير١٥/٣٢٣.

(٣) دلائل الإعجاز في علم المعاني لعبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م، ص٣٣٠.

(٤) لسان العرب لابن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤ هـ، ٦/٩٥(ر ج س).

النجاسة، وأنها في درجة واحدة من الاتحاد في جميع الأشياء، فهم جميعًا كأنهم رجس واحد، لا فرق فيما بينهم.

أما الوصف الآخر: فقد جاء في قوله تعالى:﴿مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ ؛ ليُبين مناط الرجس في قبحه وشره، فهذا الوصف جاء مكملًا للرجس في قبحه وشناعته؛ لأنه من عمل الشيطان الخبيث، الذي لا يدعو إلا إلى كل فعل خبيث، فالمراد من إضافة هذا العمل إليه مبالغة في كمال قبح تلك المحرمات وتعاطيها والقرب منها، حتى تأبى النفوس منها، فجاء النص بالتصريح أنها: ﴿مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ ؛ ليرجع العقول إلى شأن العداوة المسبقة بين آدم والشيطان، فكيف لنا أن نقبل وسوسته وزيغه؟! فجاء الأمر بالاجتناب حتى ننجو من شرك الشيطان ونكون في فلاح.

ولما كانت تلك المحرمات الأربع موصوفة بالوصفين " الرجس، وعمل الشيطان" جاء قوله تعالى:﴿فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ فالفاء للتفريع أو السببية، أى تعمدوا أن تكونوا على جانب من تلك المحرمات التي قد تقدم ما يُدلل على التنفير منها، وقد ظهر حسن هذا التفريع:" بَعْدَ التَّقَدُّمِ بِمَا يُوجِبُ النُّفْرَةَ مِنْهَا"(١)، كما أن هذا الاجتناب نابع من ذكر تلك المحرمات الأربع في كونها رجس، فبسبب البُعد عنها يكون الفلاح، فكان الاجتناب بالأمر متناولًا الكل دون استثناء، وعند الوقوف على الهاء العائدة على المحرمات في قوله: ﴿فَٱجۡتَنِبُوهُ﴾ فيها وجهين: **أولهما:** من حيث كونها عائدة إلى الرجس في اجتناب تلك المنهيات؛ فكان الأمر بالاجتناب منتاولًا للكل دون البعض، وهذا أبلغ في الدلالة على الاجتناب.

آخرهما: في الوقوف على الآية تجد أن هناك مضافًا محذوفًا، كأنه قيل: إنما من شأن الخمر والميسر أو شربهما وتعاطيهما أو ما شابه ذلك: رجس من عمل الشيطان، وفي

(١) التحرير والتنوير ٢٥/٧.

الحذف تركيز الضوء كله على المسند وصفاته، "وتركيز عليه؛ لأنه الأهم"(١)، مما يبرز كمال العناية به، ويحمل المتلقى على البُعد عنه واجتناب الاقتراب منه، ونرى عناية الله"جل جلاله" بعباده فعندما يطلب من عباده عدم صنع الحدث، ثم يطلبه منهم بأسلوب آخر؛ فهذا له دلالته في أن الاجتناب أبلغ في الترك، فالتعبير بأسلوب الأمر في الاجتناب يعني: ألا تكون مع المنهى عنه في مكان واحد فضلًا عن عدم فعلك إياه، وسر دلالة فعل الأمر أنه :"يكون للإثارة والتهييج والإلهاب، وذلك حين يتوجه إلى المأمور الواقع منه الفعل والذي لا يتصور أن يكون منه خلافه"(٢)، وتلمح من الأمر إشارة أُخرى، وهي: وجود تلك المحرمات وكثرتها أمام النَّفس فجاء الأمر بالاجتناب صريحًا واضحًا، وقد أشار الشيخ الشعراوي إلى معنى الاجتناب فقال:" هو التباعد، والحق ساعة يطلب منك ألا تصنع الحدث، ويطلب منك بأسلوب آخر أن تجتنبه، فهذا يدل على أن الاجتناب أبلغ؛ لأن الاجتناب معناه ألا تكون مع المنهي عنه في مكان واحدٍ"(٣).

وجاء قوله تعالى" ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ تعليلًا يفهم منه أنه لا فوز ولا نجاة من عذاب الله وعقابه إلا بالبعد عن مباشرتها، فكان الاجتناب هو الفوز والظفر بكل ما في الدنيا والآخرة من مطالب، فالتعليل بعد الأمر؛ يدفع إلى استمرار العمل والحث على الإلهاب لدحض النفس في البُعد عن تلك المحرمات، فهذا التعليل يقوى به الأمر، فـ:"إنه مما يقوى به الأمر أن يُتْبَع بذكر سببه وعلته؛ لأن ذكر السبب والعلة يحقق الأمر ويؤكده"(٤).

---

(١) ينظر: سنية ابن خفاجة الأندلسي في مدح الفقيه القاضى عبد الله محمد بن أحمد بن حمدين "دراسة بلاغية نقدية" د. صلاح حبيب سليمان،بحث منشور بمجلة كلية اللغة العربية بأسيوط، العدد٣٣، جـ٤، ٢٠١٤م، ص ٢٧٨٧.

(٢) دلالات التراكيب ، ص٢٥٣.

(٣) تفسير الشعراوي – الخواطر،٤/٢١٣٤.

(٤) ينظر: الشعر الجاهلي دراسة في منازع الشعراء ، صـ٢٥٦.

سادساً: الاجتناب في آية سورة الحج

قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴾ [1].

نزلت هذه الآية استئنافًا لكلام سابق عن شعائر الله في الحج، وما يجب على المسلمين في اجتناب ما نهى الله عنه، فتلك الحُرمات لا يعظمها المؤمن لذاتها، وإنما تُعظّم؛ لأنها حرمات الله وأوامره على عباده، والحرمات هنا كما ذكرها المفسرون: "البيت الحرام، والمسجد الحرام، والبلد الحرام، والمشعر الحرام، والشهر الحرام، وحرمات الله هي الأشياء المحرمة التي يجب ألاَّ تفعلها"[2] .

جاءت الآية على الأسلوب الخبري بقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾ " هنا إشارة إلى ماسبق ذكره في أركان الحج، فهي استئناف كلام على كلام سابق، فالله ﷻ بعدما تكلم عن البيت العتيق، وما به من مناسك وشعائر، استأنف سياقًا جديدًا باسم الإشارة:" ذٰ " لقصد التنبيه والاهتمام لما يأتى بعد ذلك من أوامره ونواهيه، فيكون التقدير:" ذَلِكَ بَيَانٌ، أَوْ ذِكْرٌ، وَهُوَ مِنْ أَسَالِيبِ الِاقْتِضَابِ فِي الِانْتِقَالِ"[3]، وفي ورود اسم الإشارة للبعيد؛ تعظيمًا لمكانة البيت ومناسك الحج التي جاءت سالفة لهذه الآية، فأصبح ظاهرًا ومعلنًا، وجعله مرئيًا ومشارًا إليه، وذلك غاية التقرير والتأكيد، فـ" اسم الإشارة بطبيعة دلالته يحدد المراد منه تحديدًا ظاهرًا وتمييزه تمييزًا كاشفًا"[4]، ويري الطاهر بن عاشور أن ورود اسم الإشارة للبعيد؛ كناية عن تعظيم مضمون ما سبقها من الآيات، حيث قال: "أوثر في الآية اسم إشارة البعيد للدلالة على بعد المنزلة

---

(١) الحج: الآية ٣٠.

(٢) تفسير الشعراوي – الخواطر، ٩٧٩٨/١٦.

(٣) التحرير والتنوير ٢٥١/١٧.

(٤) خصائص التراكيب، ص ٢٣٦.

كناية عن تعظيم مضمون ما قبله"[١]، فأطلق الملزوم من الإشارة إليها وهو البعد المكاني، وأراد اللازم وهو بُعد المنزلة وعلوها وتعظيمها ورفعة شأنها، وفي ذلك تأكيد للتعظيم؛ لأن الكناية من أساليب تأكيد المعاني كما قال الإمام عبد القاهر:" إن الكناية أبلغ من الإفصاح"[٢] .

كما أتى قوله ﷻ:﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ كجملة اعتراضية معطوفة على الآية السابقة في قوله: {وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ}[٣] فهو من عطف غرض على غرض، فالغرض الأول هنا: هو إعطاء سيدنا إبراهيم مكانًا يتخذ منه بيتًا مأوى للدين ولإقامة شعائر الله فقال:" مَكَانَ الْبَيْتِ"، فالبيت جعل معْلمًا لتوحيد الله لا يدخله مشرك أبدًا، وأما الآخر: وهو الانتقال إلى ما يجب الحفاظ عليه من حُرمات الله والحنيفية السمحاء التي بُنى عليها الإسلام، فترى تأكيد الله ﷻ بقوله:" لٰ" العائد على فعل التعظيم في قوله:"﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ ، وسر التأكيد هنا تعظيم تلك الحرمات وعدم هتكها، فالحرمة هنا مقصود بها:" مَا لَا يَحِلُّ هَتْكُهُ، وَجَمِيعُ مَا كَلَّفَهُ اللَّه تَعَالَى بِهَذِهِ الصِّفَةِ مِنْ مَنَاسِكِ الْحَجِّ وَغَيْرِهَا يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ عَامًّا فِي جَمِيعِ تَكَالِيفِهِ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ خَاصًّا فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْحَجِّ"[٤]، فقال تعالى: چ لٰ ۇ ۇ ۆچ فتعظيم تلك الحُرمات للمؤمن لها ثواب كبير عند الله ﷻ فيجب القيام بمراعاتها والحفاظ عليها، ومن هنا جاء عظم الثواب والأجر .

---

(١) التحرير والتنوير ٢٥١/١٧.

(٢) دلائل الإعجاز في علم المعاني ص٧٠.

(٣) الحج: الآية ٢٦.

(٤) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، لفخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠ هـ، ٢٢٢/٢٣.

أما قوله تعالى: ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ فهو بيان لحكم الحج، لكي لا يظن الحاج أن تحريم الصيد داخل في حكمه تحريم الأنعام كلها، فإذا حرم الصيد وغيره فقد يدخل في حكمها الأنعام، فجاءت الآية هنا لتحلل الأنعام، وتبين أن الإحرام لا يؤثر في كونها محللة، كما أن في التعبير بقوله: ﴿وَأُحِلَّتْ﴾ إشارة إلى ما كانت عليه العرب قبل الإسلام من تحريم الأنعام برأيها أو تحليلها، فأذهب الله ﷻ تلك العادات وأحل لهم جميع الأنعام إلا ما حرّم في كتاب الله "ﷻ"، قال ابن عطية:" أُحِلت: إشارة إلى ما كانت العرب تفعله من تحريم أشياء برأيها كالبحيرة والسائبة، فأذهب الله تعالى ذلك، وأحل لهم جميع الأنعام إلا ما يتلى عليهم في كتاب الله تعالى"(١).

كما جاء القصر في قوله: ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ يقصد به المُحرمات من النعم التي جاءت في أول سورة المائدة، في قوله تعالى: ﴿غَيْرَ مُحِلِّي ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ (٢)، فالسر في التعبير بأسلوب القصر هاهنا؛ تقرير المعنى في ذهن المتلقين، فتلك المحرمات التي ذكرت في أول سورة المائدة من المنخنقة إلى النصب في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ (٣) هي المقصودة بالتحريم دون غيرها، فكانت دلالة القصر أقوى رادع للترك في التقرب لها، فالمقام هنا مقام وعيد وتحريم لمن يقرب تلك المحرمات، ولذا كان تعبير القرآن الكريم بطريق القصر؛ لتشتد نبرة الوعيد وتعلو نغمة التحريم الحاسمة، فتلقاك في القصر: "النبرة العالية، والنغمة الحاسمة، والتعبير الشديد"(٤)، فتلك بلاغة القرآن المعجز المنزل من عند الله"ﷻ".

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٤/١٢٠.

(٢) المائدة: من الآية ١.

(٣) المائدة: من الآية ٣.

(٤) دلالات التراكيب ص ١٠٥.

نرى أن الله ﷻ بعدما حثّ على تعظيم حُرماته، وأثاب بالخير من يرعاها ويقوم بحفظها، أتبعه بالأمر في اجتناب عبادة الأوثان وشهادة الزور، فقال تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ فتوحيد الله ﷻ والإيمان به والصدق في القول والفعل من أعظم الخيرات التي يثاب عليها المؤمن في الدنيا والآخرة، وذلك يقتضي تجنب عبادة الأوثان التي هي رأس الزور، لذا جمعهما الله ﷻ في سلك واحد (الشرك، والزور) فكان المعنى: فاجتنبوا عبادة تلك النجاسات من الأوثان؛ لأنها رأس الزور ومنبعه، فقال العلماء:" لِأَنَّ الْمُشْرِكَ زَاعِمٌ أَنَّ الْوَثَنَ تَحِقُّ لَهُ الْعِبَادَةُ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: فَاجْتَنِبُوا عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ الَّتِي هِيَ رَأْسُ الزُّورِ"(١)، وأتت "من" تحتمل أمرين في قوله: ﴿مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ أولهما: بيانية، لبيان الرجس وتمييزه أي اجتنبوا الرجس الذي هو من الأوثان، وآخرهما: أنها لابتداء الغاية، فكأن الله نهاهم عن الرجس عامة ثم عين لهم ما يلحقهم من الأذى؛ إذ إن عبادة الوثن جامعة لكل رجس وخبث وفساد، يقول المفسرون: "الكلام يحتمل معنيين: أحدهما: أن تكون من لبيان الجنس فيقع نهيه عن رجس الأوثان فيقع نهيها في غير هذا الموضع، والمعنى الثاني أن تكون من لابتداء الغاية فكأنه نهاهم عن الرجس عامًّا، ثم عيّن لهم مبدأ الذي منه يلحقهم؛ إذ عبادة الوثن جامعة لكل فساد ورجس"(٢)، ونرى بلاغة القرآن الكريم عندما أطلق الرجس على الأوثان؛ لأن عبادتها من الرجس، وليس يراد بها النجاسة، فهي من باب التشبيه حيث شبه عبادة الأوثان بالرجس الذي تنفر الطباع منه، ويكمن شأن هذا التشبيه في مخاطبته الطباع التي تنفر من القذارة والرجس، فلابد لها أن تنفر من عبادة رأس الرجس والقذارة "الأوثان"، يقول الإمام النسفي:" فاجتنبوا الرجس الذي هو الأوثان، وسمى الأوثان رجسًا على طريقة

(١) مفاتيح الغيب ٢٢٣/٢٣.

(٢)المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ١٢٠/٤.

التشبيه، يعني أنكم تنفرون بطباعكم عن الرجس فعليكم أن تنفروا عنها"[١]، وجاء التأكيد بأسلوب التصوير في وجوب تجنبها؛ لأن عبادتها أو التقرب إليها أعظم من التلبس بالنجاسة والتلوث بها، كما أن تصوير القرآن الكريم لعبادة الأوثان أضفى عليها روح المحسوس، فالمعاني تتفاعل في صورة حية مرئية ومشاهدة في نجاستها وقذراتها، ولقد ذكر سيد قطب تلك الإشارات في تصوير القرآن بقوله: "هو تصوير حيَّ منتزع من عالم الأحياء، لا ألوان مجردة وخطوط جامدة، تصوير تقاس الأبعاد فيه والمسافات، بالمشاعر والوجدانات، فالمعاني ترسم وهي تتفاعل في نفوس حيَّة آدمية، أو في مشاهد من الطبيعة تخلع عليها الحياة"[٢]، تلك بلاغة القرآن الكريم المعجز للعرب كافة.

كما جاء التكرار في الاجتناب في قوله تعالى: ﴿وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ﴾ للردع من التقرب لها ولو بالخطأ؛ وليؤكد الله ﷻ أن قول الزور فيه من القبح والإساءة ما يجعلها في سلك الشرك، والعياذ بالله ﷻ، فلا بد من اجتناب قول الزور كله: وقد أشار الإمام النسفى إلى ذلك بقوله:" وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ كُلَّهُ، وَلَا تَقْرَبُوا مِنْهُ شَيْئًا؛ لِتَمَادِيهِ فِي الْقُبْحِ وَالسَّمَاجَةِ"[٣] .

(١) تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، لأبى البركات النسفي، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م،٤٣٩/٢.

(٢) التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، دار الشروق، ط١٠، ص٣٧.

(٣) تفسير النسفي ٢٢٣/٢٣.

المطلب الثاني

بلاغة التعبير بالاجتناب في مقام الدعوة إلى التوحيد والبعد عن " الطاغوت"

تمخضت دعوة الرسل –عليهم السلام– في تبليغ أمرًا واحدًا، وهو الإيمان بالله ﷻ وطاعة أوامره واجتناب نواهيه، وقد جاء القرآن الكريم مرشدًا ودالًا على تلك الرسالة العظيمة.

أولًا: الاجتناب في آية سورة النحل:

قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾[1].

جاءت هذه الآية تفصيلًا لما قبلها في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ [2].

وقد بدأت الآية الكريمة بالأسلوب الخبري في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ ، فالجملة الفعلية المصدرة بقد والفعل الماضى تدل على تحقق الأحداث، وتناسبها مع أحداث مضت على مرّ الزمان، يقول الطاهر ابن عاشور: "أَكَّدَ هَذَا الْخَبَرَ بِحَرْفِ (قَدْ) الَّذِي إِذَا دَخَلَ عَلَى الْفِعْلِ الْمَاضِي أَفَادَ التَّحْقِيقَ أَيِ التَّوْكِيدَ، فَحَرْفُ (قَدْ) فِي الْجُمْلَةِ الْفِعْلِيَّةِ يُفِيدُ مُفَادَ (إِنَّ وَاللَّامِ) فِي الْجُمْلَةِ الِاسْمِيَّةِ، أَيْ يُفِيدُ تَوْكِيدًا قَوِيًّا"[3]، كما أن " أَنِ " وما بعدها من أفعال:" اعبدوا، واجتنبوا" دلت على

---

(١) النحل: الآية ٣٦.

(٢) النحل: الآية ٣٥.

(٣) التحرير والتنوير ٨/١٨.

الحركة والتتابع، وهو الأنسب في دعوة الرسل –عليهم السلام– وتحملهم المشاق في سبيل دعوة الحق ﷻ، والتعبير بلفظة:" "بَعَثْنَا" دون أرسلنا؛ لأن في البعث "ملمح التنبيه والإيقاظ"(١)، وهذا يتناسب مع مقام التحذير والتخويف، فمن رحمة الله"ﷻ" على عباده أنه يحثهم ويوقظهم من غفلتهم ليدخلوا تحت رحمته.

وقوله تعالى: ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ جملة تفسيرية للبعث؛ لأن التبليغ يتضمن في مجمله معنى القول، فبعثة الرسل –عليهم السلام– من أجل التبليغ بالقول والفعل على وحدانية الله "ﷻ" لا شريك له.

أو تكون " أن" مصدرية، والمعنى بعثناه بعبادة الله"ﷻ"، يقول السمين الحلبي: "يجوز في «أَنْ» أَنْ تكونَ تفسيريةً؛ لأن البَعْثَ يتضمَّن قولًا، وأن تكونَ مصدريةً، أي: بَعَثْناه بأَنِ اعْبُدُوا"(٢).

وورد أسلوب الأمر بالترك في قوله تعالى: ﴿وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ(٣)﴾ (٤)چ بالصيغة الصرفية" افعلوا"، والمعنى المعجمي للفعل "اجتنب"، والمعنى السياقي من قوله تعالى: اعبدوا الله؛ لأن الأمر بعبادة الله يقتضي انصراف العبادة له دون غيره، فالاجتناب

---

(١) معجم الفروق الدلالية فى القرآن الكريم لبيان الملامح الفارقة بين الألفاظ متقاربة المعنى والصيغ والأساليب المتشابهة للدكتور محمد محمد داود، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة، ٢٠٠٨م، ص ١٣٦.

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي، تحقيق الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ٢١٧/٧.

(٣) الطَّاغُوتُ: الْكَاهِنُ، وَالشَّيْطَانُ، وَكُلُّ رَأْسٍ فِي الضَّلَالِ. ينظر: مختار الصحاح للرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت، صيدا، الطبعة الخامسة، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م،١٩١،(ط غ و).

(٤)الطَّاغُوتُ: الْكَاهِنُ، وَالشَّيْطَانُ، وَكُلُّ رَأْسٍ فِي الضَّلَالِ. ينظر: مختار الصحاح للرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت، صيدا، الطبعة الخامسة، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م،١٩١،(ط غ و).

والتخويف من عبادة الطاغوت دون الله "ﷻ" ورد بثلاث طرق؛ ليكون رادعًا قويًا لترك تلك المعبودات التي لا تنفع ولا تغنى من شيء، فاجتناب الطاغوت أمر لا بد من الامتثال له، والعمل على طاعته من الله ﷻ، وقصر العبادة عليه دون غيره سبحانه وتعالى، ويأتي قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ لبيان أن الله ﷻ بيّن للأقوام سُبل الهادية، وطرق الظلالة على ألسنة رسله في دعواتهم، فمنهم أقوام صدقت وآمنت، ومنهم أقوام ضلت وتاهت في الغواية فحق عليها الضلال.

ولأن المقام مقام تحذير ووعيد أسند الله ﷻ الهداية إلى نفسه فقال ﷻ: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ﴾ فالفاء للتفريع؛ وتنبيهًا للمشركين عندما قالوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ﴾ [1] وإزالة لشبهتهم، فقد بيَّن ﷻ للجميع سُبل الهادية، فكان الاهتداء بسبب بيانه، وأنه الهادى لهم.

وليؤكد الله "ﷻ" أن عنادهم وضلالتهم من أنفسهم جاء التعبير في جانب الضلالة بقوله"ﷻ": ﴿وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ ، فهؤلاء حقت عليهم الضلالة وثبتتْ، وذلك من تصميم أنفسهم على عدم طَرْق سُبل الهداية، أو سماع تبليغ رسل الله-عليهم السلام- وقد بيّن الطاهر بن عاشور أن قوله تعالى: {حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ} لم يسند الإضلال فيه إلى الله، وفي ذلك إشارة إلى أن الله لما نهاهم عن الضلالة؛ فقد كان تصميمهم عليها إبقاءً لضلالتهم، كما أَنَّ بَقَاءَها كان مِنْ كَسْبِ أَنْفُسِهِمْ[2]، فالضلالة تأتي من سببين أولهما: توالد العقول والتوارث من الآباء والأجداد، قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ﴾ [3]، وأخرهما: الدعوات المضللة التي عاشوا فيها، وهيأت لأنفسهم طرق الظلم والعناد والغى، فالحق سبحانه خلق تلك الأسباب، وهو عالم بمن آمن وبمن كفر من عباده، ووقف ابن عاشور فعلق على الآية بقوله: "ليحصل من مجموع ذلك

---

(١) النحل: الآية ٣٥.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير ١٤/ ١٥٠.

(٣) الأنبياء: الآية ٥٣.

علم بأن الله كوّن أسبابًا عديدة، بعضها جاء من توالد العقول والأمزجة واقتباس بعضها من بعض، وبعضها تابع للدعوات الضالة، بحيث تهيأت من اجتماع أمور شتى -لا يحصيها إلا الله- أسباب تامة تحول بين الضال وبين الهدى، فلا جرم كانت تلك الأسباب هي سبب حق الضلالة عليهم، فباعتبار الأسباب المباشرة كان ضلالهم من حالات أنفسهم، وباعتبار الأسباب العالية المتوالدة كان ضلالهم من لدن خالق تلك الأسباب وخالق نواميسها في متقادم العصور"[1].

أما الفاء في قوله تعالى:﴿ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ فهي سببية أى بسبب خلوها للسير والنظر، وإما داخلة في جملة جواب الشرط، والشرط وفعله محذوف والتقدير:إن شككتم فسيروا "[2]، لينظروا آثار الذين من قبلهم حتى يكتسبوا العبرة والعظمة من هؤلاء الذين جرهم الكفر والعناد إلى عبادة غير الله "ﷻ"، ويعلموا أن هذا الاستئصال جاء مخالفًا لأحوال الفناء التي اعتاد الناس عليها، فالاستدلال على ما جرى لتلك الأقوام جاء متوقفًا على السير في الأرض، ولو كان النظر -فقط- لرؤية الفناء؛ لكانت زيارة القبور ورؤيتها وافيًا للغرض، ولكنه "ﷻ" أمر باليسير؛ ليكون أردع في الإنذار، وأبلغ في التخويف من عواقب عدم الاهتداء بالرسل -عليهم السلام- فيما يبلغونه عن رب العزة سبحانه وتعالى.

على أن ما تجدر الإشارة إليه أن الآية جاءت موصولة بـ"الواو" لأنها معطوفة على ما قبلها لإبطال حجة المشركين، ومن جهة أخرى جاءت الآية للتفصيل بعد الإجمال؛ لزيادة تقرير الحجة عليهم، يقول ابن عاشور إن هذه الآية: "تَكْمِلَةٌ لِإِبْطَالِ شُبْهَةِ الْمُشْرِكِينَ إِبْطَالًا بِطَرِيقَةِ التَّفْصِيلِ بَعْدَ الْإِجْمَالِ لِزِيَادَةِ تَقْرِيرِ الْحُجَّةِ"[3].

---

(١) التحرير والتنوير ١٤/١٥٠.

(٢) ينظر: تفسير أبي السعود، دار إحياء التراث العربي ببيروت ٢/٨٨.

(٣) التحرير والتنوير،١٤/١٤٩.

ثانياً: الاجتناب في آية سورة الزمر:

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴾ (١).

جاءت الآية في خطاب المؤمنين ليخصهم بالبشارة في مغفرة الله لهم ودخولهم جنات النعيم، بعدما جاءت الآيات السابقة من تهديد للمشركين على كفرهم وعبادتهم للأصنام، فالمقام مقام تخويف وعظة من عذاب الله وغضبه في الإشراك به، فتلاقت المقابلة بين الوعد والوعيد، قال بعض المفسرين: "لما ذكر ما لمن عبد الطاغوت، عطف عليه أضدادهم ليقترن الوعد بالوعيد، فيحصل كمال الترغيب والترهيب فقال: {والذين اجتنبوا} أي كلفوا أنفسهم ذلك لما لها في الانسياق إليه من الهوى مع تزيين الشيطان"(٢).

جاءت الآية الكريمة على الأسلوب الخبري في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴾، القائم على الموصول مع ما فيه وصلته من الإيماء إلى وجه بناء الخبر، فذلك الإيماء هو المقصود بإثبات البشرى لهم لامتثالهم لأمر الله واجتناب عبادة الطاغوت، لما ذكر ما حصل لمن عبد الطاغوت في قوله تعالى:﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴾ (٣) عطف عليه الأضداد؛ ليقابل الوعد بالوعيد، فناسب ذكر المؤمنين ليحصل كمال الترغيب والتخويف والترهيب، ولذا جاء الوصل بـ"الواو" فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ﴾، كما أنها تحمل مزيدًا من المدح لهم، فالصلة دللت على اشتهارهم بصفة الإيمان في اجتنابهم عبادة الطاغوت.

كما جاء التعبير بالماضي في قوله: ﴿ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ ليؤكد أن صفة الاجتناب محققة في نفوسهم، أما قوله تعالى: ﴿أَن يَعْبُدُوهَا﴾ فهي بدل اشتمال من قوله:" ٱجْتَنَبُوا

---

(١) الزمر: الآية ١٧.

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٤٧٨/١٦.

(٣) الزمر: الآية ١٦.

اَلطَّاغُوتَ "؛ تنفيرًا من الاقتراب منها، فهي من فعلوت، قدمت اللام على العين للمبالغة في المصدر، فهو المزين للسوء والمحبب في الطغيان، يقول البقاعي:" لما ذكر اجتنابها مطلقًا ترغيبًا فيه، بيّن خلاصة ما يجتنب لأجله، مع التنفير منها بتأنيثها الذي أبصره المنيبون بتقوية الله لهم عليها حتى كانوا ذكرانًا وهم إناثًا، عكس ما تقدم للكفار في البقرة، فقال مبدلًا منها بدل اشتمال: {أن يعبدوها}"[1]، ونرى أن الله"ﷻ" خصهم بالإنابة فقال:" وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ " ليحقق البشرى لهم، فبعدما ذكر اجتناب الطاغوت أعقبه التزامهم التوحيد بالرجوع إلى الله "ﷻ" وحده، فجعلوه "ﷻ" قبلة لهم لا ينصرفون إلى غيره، فاستحقوا البشرى بالنعيم في الدنيا والآخرة.

وقدم الله "ﷻ" الضمير في قوله: "لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ" لإفادة القصر في جعل البشارة لهم مرتين: الأولى: في الدنيا على ألسنة رسله-عليهم السلام- والأُخرى: في الآخرة عندما تتلقاهم الملائكة بالبشارة بالجنة، وتلك بشارة الله "ﷻ" لهم في الدنيا والآخرة؛ ولما كان الوصف بالبشرى مسببًا عن عملهم؛ لأنهم اتبعوا كلام الله وأخلصوا دينهم جاءت البشرى بالإفراد تشريفًا للموصفين؛ فقال"ﷻ":ۥ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ولهذا جاءت الجملة مصدرة بالفاء السببية، فبعدما بيّن لهم الحق"ﷻ" سبل الهداية؛ سرَّهم بدخول الجنة.

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١٦/٤٧٩.

المطلب الثالث

السمات العامة في التعبير بالاجتناب في القرآن الكريم

أولا: الأساليب في آيات الاجتناب:

تنوعت الأساليب في الآيات محل البحث، ما بين الأساليب:"الخبرية، والإنشائية" وهذا راجع إلى تنوع الأغراض والمقامات التي وردت فيها الآيات، فيتميز أسلوب الإنشاء بما فيه من أمر أو نهى أو نداء بكونه الأنسب في مقام التحذير والوعيد وخاصة في الآيات التي جاءت لتضم تحذيرًا من مغبة الانسياق وراء الشهوات والمحرمات وميل النفس نحو ما يوقعها في العقاب، كما يتميز الأسلوب الخبري بأنه يزيد به الخبر تنبيهًا على خطورته وتجنب الاستهانة به، خاصة في الآيات التي تضمنت تجنب الكبائر، والظن والكذب، وشهادة الزور.

ففي بلاغة التعبير بالاجتناب في مقام النهى عن إتيان المحرمات، وأيضا: بلاغة التعبير بالاجتناب في مقام الدعوة إلى التوحيد والبعد عن الطاغوت، جاء ما بين: الأسلوب الخبري القائم على "الشرط، واسم الموصول، والإشارة، والجملة الفعلية"، والأسلوب الإنشائى القائم على النداء"، وهذا التنوع في الأساليب أتى من تنوع الغرض والمقام الذي وردت فيه الآيات، فالتحذير باجتناب المحرمات والنهى عن القرب منها يحتاج إلى رادع قوى، حتى يعمل في النفوس الخوف، فلما كان تكفير السيئات ودخول الجنة معلقًا على اجتناب الكبائر، جاء الشرط في سورة النساء، قال تعالى: ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴾ فالمقام هنا للتحذير والتخويف من إتيان الكبائر والمحرمات، فكان الشرط أدخل في بيان المعنى لما في الشرط من:" فضل توكيد"[1]، كما أنه يحمل المخاطب للاستجابة للمعنى المراد حين

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ هـ، ١/١١٧.

يطالع الجزاء الكبير المترتب على الفعل، أما قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴾ ، فجاءت في مقام الوعد بالخير من الله "ﷻ" في تعظيم حرمات الحج، كما جاءت الإشارة للبعيد على اجتناب الرجس وعبادة الأوثان وقول الزور تعظيمًا لحرمات الله، والعمل على توقيرها باجتنابها، وعدم الخوض فيها فعددها الله وذكرها:" الرجس من الأوثان، وقول الزور"؛ ليكون أدعى وأدخل في كمال الإيمان، فصدق القول من أعظم الخيرات وأعلى مقامات التوحيد، وآثر الأسلوب الحكيم اسم الإشارة للبعيد؛ لوضوح تلك الحرمات وظهورها للأذهان وتميزها عن غيرها، فهي محسوسة ومرئية أمام الجميع؛ ليكون الأمر باجتنابها أردع في تركها بعدم الخوض إليها.

كما جاء الأسلوب الإنشائي القائم على النداء في قوله:" ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ لينبه المؤمنين إلى نهيه ﷻ في التحريم القاطع لكل رجسٌ من عمل الشيطان وآثر النداء؛ لأنه طريق من طرق التشويق إلى المعاني؛ فتتلهف الأذهان إلى معرفة ما ينادى به، كما جاء اسم الموصول في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴾ ؛ للدلالة على أنهم معروفون وموسومون بتلك الصفات من الإنابة، والتوبة إلى الله ﷻ في ترك واجتناب عبادة غيره.

ثانياً: الألفاظ والمعانى والصور في آيات الاجتناب:

حملت آيات الاجتناب الكثير والكثير من الوعد لكل من يحافظ على آوامر الله ﷻ ويجتنب نواهيه، والوعيد لمن تسول له نفسه بانتهاك حرمات الله ﷻ واتباع خطوات الشيطان، فمن تلك الألفاظ التي حملت دلالات قوية سواء في اجتناب المحرمات أم في اجتناب عبادة الطاغوت، ومنها: ((كَبَآئِرَ ،ٱلرِّجْسَ ،ٱلطَّٰغُوتَ ،قَوْلَ ٱلزُّورِ ، بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ ، وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ) فتلك الألفاظ تحمل دلالات نفسية ومعنوية تخالج قلب سامعيها، وتخشع عيون مبصريها، وتزلزل أُذن متلقيها، فهذا هو كلام العزيز الحكيم.

أما الصور فتنوعت ما بين التشبيه والكناية؛ لإدناء العقول مما يراد تمثيله وتصويره أمام الأعين حتى يكون على مقربة من الأذهان؛ فتمتثل لآوامر الله وتتجنب نواهيه، فالكناية جاءت متمثلة في قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ ﴾، وجاءت التشبيه في الوعيد لمن يتقرب إلى الطاغوت أو إلى أي عمل يُقرب إليها في قوله تعالى:﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴾ فجاءت الصور البيانية معروفة ومحسوسة للمتلقي، فالنفس دائما تهش إلى ما تعرفه، فالتصوير :"هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن...، فهو تصوير باللون، وتصوير بالحركة، وتصوير بالتخييل، كما أنه تصوير بالنغمة تقوم مقام اللون في التمثيل"[1] .

(١) التصوير الفنى في القرآن ص ٣٧.

الخاتمة

الحمد لله الذي بعفوه تطيب القلوب، وبرحمته تحى النفوس، أنزل القرآن على خير الأنام محمد صفوة خلقه ﷺ.

وبعد،

فلقد خلص البحث إلى عدة نتائج، منها:

١. تنوعت الأساليب البلاغية في الآيات القرآنية الشريفة فجاءت جامعة بين الوعد والوعيد بين التنفير والبشارة، فشأن العبادات التي فيها اجتناب المحرمات والمنهيات وعبادة الطاغوت أن تقابل بالتنفير تارة والبشارة تارة أُخرى لمن يجتنبها ويمتثل فيها لأمر الله ﷻ.

٢. كما تنوعت الأساليب داخل الآيات الشريفة ما بين خبرية لتقرير حقيقة معينة كتجنب كبائر الإثم والفواحش، مما يزيد المعنى تنبيها وخطورة حتى يستجيب المتلقى له، وإنشائية للتنبيه على عظم المحرمات في التقرب إليها ومنها النداء، والأمر.

٣. كان لأسلوب الأمر النصيب الأوفر من بين الأساليب الإنشائية في تحذير المؤمنين من المحرمات وعبادة غير الله ﷻ والتنفير منها، لما في أسلوب الأمر من الردع والتحذير من مغبة عصيان آوامر الله .

٤. كان للوصل بين الجمل القرآنية النصيب الأوفر لما فيه من توضيح المعاني وتقريرها في ذهن المتلقى خاصة التي تحذر المؤمنين من مغبة الكبائر من الإثم، والفواحش، وعبادة الطاغوت، وقول الزور.

٥. جاء التعبير بالفعل المضارع في قوله تعالى:"تجتنبوا" لقدرته الفائقة على رسم صورة النهى الواردة في الآية، وتصوير مغبة إتيان الكبائر التي حذر الله منها.

٦. تعددت أساليب التوكيد ما بين:" أسلوب الشرط، وأسلوب القصر" فجاءت لتؤكد نعمة الله على عباده، وبيان ما يجب عليهم اجتنابه، وأن اتباعهم لآوامر الله هو سبيل نجاتهم ودخولهم مدخلًا كريمًا.

٧. كما تمتع اسم الموصول واسم الإشارة بحضور قوى في آيات الاجتناب خاصة في مقام ذكر أوصاف المؤمنين؛ لما فيه دلالة قوية على اشتهارهم بتلك الصفات وتميزهم في بُعد مكانتهم وعظيم شأنهم.

٨. تمتعت آيات الاجتناب بالمشاهد الحقيقة خاصة في المحرمات والمنهيات، فلذا يندر فيها التصوير والتخييل، فاجتناب الكبائر والرجس من الأوثان وقول الزور مما ليس فيها مجالًا للتخييل والناس لا تتحد في فهمه آنذاك.

٩. حوت آيات الاجتناب صورًا من الأساليب البيانية، كالكناية، والتشبيه؛ لما فيها من تجسيد للمشاهد المعنوية، وتقريبها في صورة الحسية .

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

[١] أنوار التنزيل وأسرار التأويل،الإمام البيضاوي، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.

[٢] بلاغة تطبيقية دراسة لمسائل البلاغة من خلال النصوص،أ.د بسيوني عبد الفتاح فيود ط:١، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م، مؤسسة المختار للطباعة والنشر . القاهرة.

[٣] بلاغة القرآن الكريم دراسة في أسرار العدول في استعمال صيغ الفعل، لظافر ابن غرمان العمري، مكتبة وهبة القاهرة، ط:١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

[٤] التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤ هـ.

[٥] التشويق في الحديث النبوي طرقه وأغراضه للدكتور بسيوني عبد الفتاح فيود، مطبعة الحسين الإسلامية، خلف الجامع الأزهر، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

[٦] التصوير البياني في شعر المتنبي، د/ الوصيف هلال الوصيف إبراهيم، مكتبة وهبة، ط١: ١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م.

[٧] التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، دار الشروق، ط ١٠.

[٨] تفسير الشعراوي – الخواطر، لمحمد متولي الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، ٤/٢١٥٢.

[٩] تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، لأبى البركات النسفي،حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي،راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت،الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨م.

[١٠] جامع البيان في تأويل القرآن، لأبي جعفر الطبري، أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط:١ ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م.

[١١] جماليات الحركة في التعبير القرآنى، المؤلف: صالح ملا عزير، كلية التربية للعلوم الإنسانية جامعة صلاح الدين أربيل.

[١٢] خصائص التراكيب للدكتور محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

[١٣] الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، لأبي العباس، شهاب الدين، تحقيق الدكتور: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.

[١٤] دلائل الإعجاز في علم المعاني، لعبد القاهر الجرجاني،تح: محمود محمد شاكر أبو فهر،مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة،ط:٣ /١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

[١٥] دلالات التركيب، للدكتور محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٨ هـ -١٩٨٧م.

[١٦] الرافعي دراسة نحوية دلالية، إعداد: فاطمة حسين السيد حسين، بحث مقدم لنيل درجة التخصص الماجستير، جامعة القاهرة كلية دار العلوم ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

[١٧] سنية ابن خفاجة الأندلسي في مدح الفقيه القاضى عبد الله محمد بن أحمد بن حمدين "دراسة بلاغية نقدية" د. صلاح حبيب سليمان،بحث منشور بمجلة كلية اللغة العربية بأسيوط، العدد٣٣، جـ٤، ٢٠١٤م.

[١٨] الشعر الجاهلي دراسة فى منازع الشعراء، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، ط٢: ١٤٢٣هـ-٢٠١٢م.

[١٩] علم البيان، تأليف د: مصطفى هدارة، ط:١، دار العلوم العربية بيروت ـ لبنان ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

[٢٠] علم المعانى دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعانى/د٠بسيونى عبد الفتاح فيود، مكتبة وهبة ١٤٠٧هـ.

[٢١] العين للخليل بن أحمد الفراهيدي تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

[٢٢] الفروق اللغوية، لأبى هلال العسكري،حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.

[٢٣] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، دار الكتاب العربي – بيروت،الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧هـ.

[٢٤] لسان العرب، لابن منظور، دار صادر بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ.

[٢٥] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،لابن عطية الأندلسي،تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد،دار الكتب العلمية – بيروت،الطبعة: الأولى – ١٤٢٢هـ.

[٢٦] مختار الصحاح، الرازي،المحقق: يوسف الشيخ محمد،المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا،الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ /١٩٩٩م.

[٢٧] معاني النحو، د. فاضل صالح السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – الأردن، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.

[٢٨] المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصَّل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها)، د. محمد حسن حسن جبل، مكتبة الآداب – القاهرة، الطبعة: الأولى، ٢٠١٠م.

[٢٩] معجم الفروق الدلالية فى القرآن الكريم لبيان الملامح الفارقة بين الألفاظ متقاربة المعنى والصيغ والأساليب المتشابهة، د:محمد محمد داود، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة/ ط:٢٠٠٨م .

[٣٠] المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، ١٣٦٤هـ.

[٣١] معجم مقاييس اللغة، لابن فارس الرازي، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

[٣٢] مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، لفخر الدين الرازي،دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ.

[٣٣] المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهانى،المحقق: صفوان عدنان الداودي،دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ

[٣٤] النابغة الذبياني مع دراسة للقصيدة العربية في الجاهلية، لمحمد ذكى العشماوي، الناشر دار الشروق القاهرة/ ط١/ ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

[٣٥] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لإبراهيم البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة،

[٣٦] النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م